ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Asst. Lect. Sinan Sami Al-Jader
Mustansiriya University
Email: sinan@swedguld.se

Keywords
Sabians Mandaeans, Sheikh Ṣahan, Ottoman occupation of Iraq, British occupation of Iraq, Iraqi revolution against the Ottomans.

ARTICLE INFO

Article history:
Received 24 Aug 2025
Accepted 7Sep2025
Available online 1 Oct 2025

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

The Ottoman Occupation and the Persecution of the Mandaeans - The Case of the Arrest of the Head of Sabian, Sheikh Ṣahan and his sons.

Abstract

The pursuit of cooperation among Middle Eastern nations is the right path to peace and prosperity, but learning from past injustices, especially those tied to occupation and oppression of Iraqi people by neighboring countries, is an urgent intellectual necessity to prevent their recurrence.

In this study, we shed light on certain manifestations of the oppression experienced by the people of Mesopotamia during periods of occupation by various Turkish groups. Our focus, however, is on the persecution faced by the Sabians Mandaeans community during the last quarter of the nineteenth century, as they constituted the most vulnerable components of Iraqi society. Among the most grievous acts of oppression suffered by the Mandaeans was the elimination of their religious leader, Sheikh Sahn, and his sons who were also clerics, under the accusation of aiding the Iraqi tribal revolt against the Ottoman occupation, particularly during the uprising led by Sheikh Hassan Khayon Al-Asadi.

This Ottoman campaign against the Sabians Mandaeans coincided with similar campaigns targeting the Yazidis and Christians, clearly indicating a deliberate Ottoman policy aimed at eradicating all religious minorities. The study will also address British policies, which exploited Ottoman injustices against the Iraqi people, in their quest for the occupation of Iraq.

The accelerating events in the region, and the emergence of renewed attempts at domination and perhaps even occupation, compel us to reread history: so that those who do not know may learn, and those who have forgotten may remember

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI : https://doi.org/10.31185/lark.4762

مدرس مساعد/ ورجل دين سنان الجادر/ الجامعة المستنصرية

خلاصة

إن السعي إلى التعاون بين دول الشرق الأوسط هو الطريق الصحيح للسلام والازدهار، إلا أن التعلّم من مظالم الماضي، وخاصة تلك المرتبطة بالاحتلال وقمع الشعب العراقي من قبل الدول المجاورة، يُعد ضرورة فكرية ملحّة لمنع تكرارها.

في هذه الدراسة، نسلّط الضوء على بعض مظاهر القمع الذي عانى منه شعب بلاد الرافدين في أثناء احتلال الجماعات التركية المختلفة. ومع ذلك، ينصب تركيزنا على الاضطهاد الذي واجهته طائفة الصابئة المندائيين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، لأنهم كانوا يشكلون أضعف مكونات المجتمع العراقي. ومن بين أشد أعمال الظلم التي تعرض لها المندائيون هو القضاء على رئيسهم الديني، الشيخ صحن، وأبنائه الذين كانوا أيضًا رجال دين، بتهمة مساعدة ثورة العشائر العراقية ضد الاحتلال العثماني، وبصورة خاصة في الانتفاضة التي قادها الشيخ حسن خيّون الأسدي. وقد تزامنت هذه الحملة العثمانية ضد الصابئة المندائيين مع حملات مماثلة استهدفت الإيزيديين والمسيحيين، مما يدل بوضوح على سياسة عثمانية متعمّدة كانت تهدف إلى إبادة جميع الأقليات الدينية. وستتناول الدراسة أيضًا السياسات البريطانية، التي استغلّت الظلم العثماني ضد الشعب العراقي، في سعيها لاحتلال العراق.

إن تسارع الأحداث في المنطقة، وظهور محاولات متجددة للهيمنة، وربما تقود أيضا للاحتلال، يدفعنا إلى إعادة قراءة التاريخ: ليتعلّم من لم يكن يعرف، وليتذكر من نسي.

الكلمات المفتاحيّة

الصابئة المندائيون, الشيخ صحن, الاحتلال العثماني للعراق, الثورة العراقيّة ضد العثمانيين, الاستعمار البريطاني للعراق.

لمحة تاريخيّة عن الاحتلالات التركيّة للعراق

تعددت الدراسات والبحوث التي تناولت الاحتلالات التركية للعراق، وخاصة في عهد الدولة العثمانية، إلا أنه من غير الممكن التطرق إليها جميعًا في هذا البحث المختصر. وعلى الرغم من ذلك، تتفق معظم المصادر الوطنية والمحايدة على أن العثمانيين مارسوا الظلم والاضطهاد بحق جميع مكونات الشعب العراقي بشكل متساوٍ، وذلك نتيجة لعقيدتهم القائمة على العنصرية القومية ونظرتهم الاستعلائية تجاه الشعوب الأخرى، لا سيما العرب. إلى جانب ذلك، تعرّضت بعض الطوائف الدينية مثل المندائيين واليزيديين والمسيحيين، فضلًا عن المسلمين الشيعة، إلى مظالم أشد وأكبر، إذ كانت لدى العثمانيين عنصرية دينية وطائفية إلى جانب عنصريتهم القومية. وفيما يتعلق بالمندائيين، فقد كان موقفهم ضعيفًا في العهد العثماني، فقد

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

عانوا أشكالًا متعددة من الظلم والاضطهاد، ناتجة عن تلك العنصرية الدينية التي نشأت من عدم فهم العثمانيين لتعاليم الإسلام السمحة. وقبل الدخول في تفاصيل هذا الموضوع، سنقدم لمحة تاريخية موجزة عن الاحتلالات التركية المتعاقبة لبلاد الرافدين وتأثيراتها في السكان.

يعود العثمانيون وأسلافهم السلاجقة إلى قبائل الغز التي كانت تستوطن السهول في المناطق الجنوبية من تركستان التي تشمل كازاخستان وأوزبكستان وطاجكستان وقيرغيزستان وتركمانستان. وهم من الأقوام المهاجرة طلبًا للمرعى والرزق. وكان جيرانهم البويهيون الذين تعود أصولهم إلى طبرستان وبحر قزوين في شمال إيران, قد جلبوهم للمنطقة كمرتزقة ليحاربوا لحسابهم. ولكنهم أخطأوا بذلك لأن السلاجقة تسلطوا عليهم وحاربوهم. والبويهيون كانوا من الشيعة الزيديّة بينما السلاجقة كانوا من السنّة الحنفيّة.

إذ إنّ الخليفة العباسي المعتصم كان قد استعان بالأتراك في الجيش فازداد نفوذهم وأخذوا يتسلطون على الخلافة والحكم. ثم أتى البويهيون في زمن الخليفة المستكفي بالله وأخذوا مكانهم بالهيمنة على الخلافة ولغاية أن عاد السلاجقة الأتراك في زمن الخليفة القائم بأمر الله الذي كان قد دعاهم لمساعدته بسبب خوفه من الفاطميين؛ ولكنهم دخلوا بغداد على شكل حملة حربيّة فأزالوا البويهيين وأخذوا مكانهم بالسيطرة على الخلافة.

(أمين, 2006: 5-6, 19, 32-33, 47-48, 141)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ولقد كان هدف العثمانيين وأسلافهم السلاجقة من الشعارات الإسلاميّة التي كانوا يرفعونها هو الاستفادة من السطوة السياسيّة المُستندة إلى القوّة والتاريخ وصيت الخلافة الإسلاميّة. وأن الأتراك كانوا هم سبب ضعف وتخلّف الدولة العراقيّة منذ زمن الدولة العباسيّة ولغاية القرن العشرين؛ فكان السلاجقة يُمارسون الهيمنة على الخلافة العباسيّة ويُضعفونها ولغاية أن أصبح الخليفة مُجرّد تابع يُنفّذ ما يطلبونه منه. بينما أبقى العثمانيون العراق متخلفًا ومهمّشًا فينهشون بخيراته ويقتلون بأهله ولغاية التحرر منهم بدخول البريطانيين.

فيَذكر ابن الأثير تفاصيل عن جرائم السلاجقة وقتلهم لعامّة الناس في أسواق العراق وطرقاته وعمليات النهب والسلب التي قام بها جيش طغرل السلجوقي وكيف كانوا ينهبون كل شيء وينهبون جميع الناس؛ وحتى عندما أرسل الخليفة مرساله الى طغرل ومعه الأعيان ومنهم الأمير البويهي فنهبهم السلاجقة وأسروهم وأخذوا حتى ثيابهم وخيولهم. ويقول أبن الأثير: "وانتشر الغز السلجوقية (الأتراك) في سواد بغداد فنهبوا من الجانب الغربي من تكريت الى النيل ومن الشرقي الى النهروانات وأسافل الأعمال وأسرفوا في النهب". ثمّ حصلت معارك في مدن العراق بين عامّة الناس وعساكر جيش طغرل فانهزم العامّة بعد بضعة أيام. ثمّ أرسل الخليفة العباسي الى طغرل يستنكر عليه نهب بغداد وقتل الناس وقال له: "فأني إنما اخترتك واستدعيتك اعتقادًا مني أن تعظيم الأوامر الشريفة تزداد وحرمة الحريم تعظم , وأرى الأمر بالضّد"

(ابن الأثير, 1987: 324-325)

وأنّ كلام الخليفة يدل على أنّ الجيش السلجوقي لم يكتفِ بالسلب والنهب؛ وإنما قاموا باغتصاب النساء أيضًا؛ ولهذا فتحارب معهم العراقيون البسطاء من العامّة والذين لاحول لهم ولا قوّة بمقارعة العساكر المتدربين, فقُتل منهم من قُتل وهَرب من هَرب.

(أمين, 2006: 64)

ثم بعد ذلك أكمل السلاجقة سيطرتهم على مقاليد الحكم العباسي. وكانوا يحكمون الدولة العباسية ويضعون خليفة تابعًا لهم للحفاظ على هيمنة السطوة الإسلاميّة وأخذ شرعية نفوذهم, وكان الخليفة يأتمر بأمر الوزراء السلاجقة. ويقول الدكتور حسين أمين في كتابه :

"والسلاجقة إنما أرادوا الإبقاء على الخلافة مظهرًا دينيًّا يكسبون به عطف الجماهير الإسلامية". وبقي السلاجقة يسيطرون على الدولة العباسية لغاية مقتل رئيسهم طغرل فبدأت بوادر تحرر جزئي للخلافة من هيمنتهم في زمن الخليفة الناصر لدين الله.

(أمين, 2006: 148, 187)

ومن ثمّ أتى الغزو المغولي والذي كان في جيوشه جحافل من القرغيز والإيغور النيمان وغيرهم. وكل هؤلاء كانوا يتكلّمون التركية وهم الذين غزوا بغداد وسفكوا دماء أهلها. وهؤلاء هم أنسباء مع الأتراك عبر زواج رجال المغول من نساء تركيات فتلاشت اللّغة المغولية وأصبحوا يتكلّمون التركية.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

(الهمذاني, 1960: 136)

وبعد سقوط الخلافة العباسيّة بسبب الغزو المغولي. تنافست كل من إيران وتركيا على احتلال العراق وتركيع شعبه وبقي العراق مسرحًا للصراع بين الفرس والترك. يقول الباحث العراقي سليم مطر "أنّ السلالات الصفوية والقاجارية التي حكمت إيران منذ القرن 16 كانت ناطقة بالتركستاني مثل العثمانيين؛ وهذا يعني بانهم كانوا يشتركون باللّغة والقوميّة والدين مع العثمانيين؛ ولكنهم يختلفون بالمذهب فقط. وعلى هذا الأساس أخذ الصراع المذهبي بعدا سياسيا وحضاريا فصار كل الشيعة محسوبين على إيران وكل السنة محسوبين على الدولة العثمانية. وهذه المشكلة كانت اكثر ما تكون في العراق عندما اعتنق الإيرانيون المذهب الشيعي الجعفري الذي مقر عتباته المقدسة وحوزته العلمية في العراق. وأمّا العثمانيون فاعتنقوا المذهب الحنفي الذي كان يسمى مذهب أهل العراق والذي أسسه أبو حنيفة. فصار العراق ساحة للصراع بين الفرس والعثمانيين".

(سليم, 2008: 100-101, 115)

ومن ثمّ سيطر الاحتلال العثماني على جميع أراضي العراق في القرن السادس عشر الميلادي. ولم يخرجهم أحد سوى الاحتلال الإنكليزي الذي دعم الثورة العربيّة في العراق وسائر الدول العربيّة. وذلك ليس لتخليص تلك الشعوب وإنما لغرض السيطرة عليها وعلى مواردها, وأنّ الدهاء الإنكليزي كان يَعرف من أين تؤكل الكتف؛ وهي بالتعصّب الديني أو القومي الذي ينشرونه للشعوب

فهي سياسة فرّق لكي تسد. فكانوا قد أعدّوا عائلة الشريف حسين فلقّنوهم ودرّبوهم ثم قدّموهم للمنطقة كقوميين عرب ليكونوا ملوكًا على الدول العربيّة المتحررة, على الرغم من أنهم لم يكونوا مميزين وكان آل سعود في نجد أعداء لهم ، وكذلك كان الفرنسيون ضدّهم؛ ولكنهم كانوا دمية لشرعنة السياسة البريطانية.

(توماس, 1986: 96)

وهكذا هي الدول الاستعمارية لا تقدّم شيئًا بالمجّان للشعوب المقهورة التي كانت تعاني الاحتلالات؛ فدرسوا نقاط ضعفها ودخلوا منها. وهي التعصّب والانحياز لمن يرفع شعار الدين أو القوميّة.

وفي بدايات الحكم العثماني أطلق العثمانيون تسمية العراق على ايالات (ولايات) الموصل وبغداد والبصرة وشهرزور (كركوك) وبما يدخل تحت سيادة هذه الايالات من المناطق القريبة كدير الزور ونصبين وماردين, وامتدت سيادتها من ولاية البصرة إلى بلاد نجد والكويت (كاظمة) والأحساء والقطيف التي ضمّها العثمانيون عام (1550) وحتى الدوحة في قطر على ساحل الخليج العربي. وأنّ الدولة العراقية الحالية هي جزء فقط تمّ اقتطاعه من بلاد الرافدين التاريخية ونالت استقلالها بعد سقوط العثمانيين.

(ثامر&الأرقط, 2020: 12)

قام العثمانيون بتقسيم العراق إلى أربعة إيالات وليس إيالة واحدة تتبع لوالي واحد خوفا من قيام حركة انفصالية قد تؤدي إلى فصل العراق عن الدولة العثمانية.

(مراد, 1975: 301)

مراد, خليل علي (1975): العراق في العهد العثماني الثاني (1638-1750). الطبعة الأولى. دار الرافدين. بيروت, بغداد.

وأنّ التدّخلات والاحتلالات التركية عبر جميع تلك الأزمان وصولًا للعثمانيين, كانت جميعها تتلبّس بالصبغة الإسلامية, ولكنها مع ذلك تتصف بالظلم الشديد والجور على الناس والفساد والسرقة ونهب الثروات والبطش. وكان هذا منذ أن جلبهم الخليفة العباسي المعتصم فتعرّضوا للأعراض ونهبوا الأموال ومن ثم بنى مدينة سامراء لتخليص الناس في العراق من شرّهم.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يقول الطقطقي في كتابه :"وقيل إن المعتصم استكثر من المماليك, فضاقت بهم بغداد, وتأذى بهم الناس, وزاحموهم في دورهم, وتعرّضوا بالنساء, فكان في كل يوم ربما قتل منهم جماعة. فركب المعتصم يومًا, فلقيه رجل شيخ, فقال للمعتصم. يا أبا اسحاق. فأراد الجند ضربه, فمنعهم المعتصم. وقال له : مالك يا شيخ؟ فقال لا جزاك الله خيرًا عن الجوار, جاورتنا مدة , فرأيناك شر جار, جئتنا بهؤلاء العلوج, من غلمانك الأتراك, فأسكنتهم بيننا, فأيتمت صبياننا, وأرملت نساءنا, والله لنقاتلنك بسهام السحر: يعني الدعاء. والمعتصم يسمع الدعاء, فدخل منزله, ولم ير راكبًا إلا في يوم مثل ذلك اليوم, فركب وصلى بالناس العيد, وسار إلى موضع سامرا, فبناها, وكان ذلك في سنة إحدى وعشرين ومائتين"

(الطقطقي, 1927: 173-174)

ويقول عبد الرحمن الكواكبي في كتابه أم القرى: "أن المغول الأتراك أي العثمانيين قد رفضوا أن يستعربوا ولكن المتأخرون منهم قبلوا بأن يتفرنسوا أو يتألمنوا. ولا يعقل لذلك سبب غير شديد بغضهم للعرب كما يستدل عليه من أقوالهم التي تجري على ألسنتهم.. هذا والعرب. كانوا يسمونهم بالأروام كناية عن الريبة في اسلاميتهم وسبب الريبة أن الأتراك لم يخدموا الاسلامية بغير اقامة بعض جوامع لولا حظ نفوس ملوكهم بذكر أسمائهم على منابرها لم تقم."

(الكواكبي, 1931: 150-151)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وبحسب الكواكبي فأن العثمانيين هم من المغول وكانوا يحتقرون العرب ولم يخدموا الإسلام ولكنهم أستغلوه لأغراضهم الاستعماريّة. ولهذا فكان العرب يسمون العثمانيين الأروام, وبنسبهم للروم فهم يشككون بإسلامهم.

وهنا لا يتّسع المجال لذكر جميع أنواع الاضطهاد الذي مارسه العثمانيون ضد سكان بلاد الرافدين. ولأنه أكبر بكثير من حدود هذا البحث. وأمّا مَن كان يعترض على الظلم العثماني, فكان الإعدام بكرسي الخازوق والتعذيب الوحشي ينتظره. وكانت ممارساتهم الظالمة لا تتوقف عند سياسة التتريك التي أتبعوها ومنع السكان حتى من استخدام لغتهم الأم العربيّة, مرورًا بنهب الثروات, وإهمال جميع القطاعات الخدميّة مثل الصحّة والمواصلات والزراعة والصناعة وكل شيء وصولًا إلى تجهيل المجتمع العراقي ومنع المدارس والعِلم ولكي يبقى المجتمع غائبًا ومن دون وعي, فلا تتكوّن طبقة مثقّفة تحارب ذلك الاحتلال المقيت.

(التكريتي, 2012: 139-141)

واقتصرت المناصب الحكوميّة على الأتراك في إدارة العراق, ومصادرة أراضي العراقيين وإعطائها للضباط العثمانيين وجعل الفلاحين يخدمونهم. وأنّ عملية اغتصاب أراضي العراقيين واستعبادهم فيها من قبل الضباط الأتراك كانت سياسة متّبعة منذ زمن السلاجقة؛ فهم لم يكونوا يدفعوا النقود للمرتزقة ولكن يجري

توظيفهم لاحتلال أراضي دول أخرى مقابل إعطائهم الأراضي المُحتلة والإقطاعيات التي يستعبدون فيها السكّان المحليين الذين أخذت أراضيهم عنوة.

(مراد, 1975: 126-129)

وبسبب عدم وجود قطاع صحي فانتشرت الأوبئة والأمراض وأخذت تفتك بعشرات الألوف من السكان. فكان وباء الكوليرا قد انتشر عام (1820) ومن ثمّ الطاعون عام (1831) ولم يقدم العثمانيون شيئًا ولا حتى دعم بسيط للقطاع الصحي الذي كان غير موجود أصلا وإنما كان العلاج يتم من قبل أبناء المجتمع بوسائلهم البدائيّة. وكان إهمالهم للقطاع الزراعي ونظم الري قد تسبب في الفيضانات وغرق الناس وتدمير المحاصيل والمدن ومن ثمّ تفشي المجاعة والأمراض الفتاكة والجفاف. وأمّا التعليم فكان دينيًّا فقط ويتم في المساجد ويقتصر على العلوم الدينيّة واللّغة العربيّة؛ ولهذا كانت نسبة الأميّة مرتفعة جدًّا. وقطاع المواصلات هو الآخر كان يعاني الإهمال من الحكومة العثمانية, وكانت عمليات النقل تتم بواسطة الجمال والخيول والحيوانات ولم تكن الطرق البرية آمنة فكان قطاع الطرق ينتشرون فيها.

(ثامر&الأرقط, 2020: 24, 26, 38-40)

وأنّ انتشار قطّاع الطرق وسرقة الناس لم يكن بسبب سوء أخلاق المجتمع العراقي آنذاك؛ وإنما بسبب السياسة العثمانيّة التي كانت تشجّع تلك الأعمال ما دامت ستحصل منها على فوائد. فيقول الضابط البريطاني برترام توماس "لقد كانت فعالية الأتراك هي أن مفهوم الحق مع المنتصر. وهو ما دفع المسؤولية عن اللصوص والشيوخ". وأنّ اللّصوص كانوا يعملون لخدمة بعض الشيوخ الذين يتبعون للأتراك وبدورهم فكانوا يرسلون الهدايا والمقتنيات للحكام الأتراك فيشاركونهم ويحصلون على الحماية.

(توماس, 1986: 117)

ويقول الباحث الروسي كوتلوف "لقد أدت سيطرة الامبراطورية العثمانية على العراق إلى تحطيم الإنتاج الزراعي في البلاد ليس بسبب التعسف في فرض الضرائب العالية, التي حطمت الاقتصاد الفلاحي, وأعاقت تطوره فحسب, بل بسبب سياسة النهب المباشرة التي اعتمدتها الحكومة التركية في جميع أنحاء العراق." ويضيف في مكان آخر " أنّ هيمنة العثمانيين على العراق قد أدت إلى عرقلة تطور التجارة والحرف والصناعة بسبب الثروات الضخمة التي سلبتها من العراق على شكل ضرائب مختلفة. وكانت الرسوم تجبى من المواطنين على الجسور والعبارات ".

(كوتلوف, 1971: 73, 79)

ويذكر كوتلوف أيضًا عن تدهور الزراعة وانهيار منظومات الري في الأنهار والتي بقيت بدون تحديث منذ العصور الوسطى؛ فكانت تؤدي إلى حدوث فيضانات مستمرة في حوضي دجلة والفرات كبدت العراق

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

خسائر فادحة في العديد من مناطقة. ففي عام 1896 أهلكت الفيضانات مليوني نخلة, وفي الأوقات التي تنحسر فيها مياه الأنهار فأن الزراعة كانت تواجه قحط وجفاف شديد. ثم يعطي مثالًا عن سوء إدارة القطاع الزراعي في العراق فيقول بأن مساحة الأراضي التي كانت تستغل سنويا للزراعة في مختلف ولايات العراق كانت تتراوح بين (2-7%) فقط من مساحة جميع الأراضي الصالحة للزراعة.

(كوتلوف, 1971: 28)

وكان العثمانيون في إدارتهم للعراق فاسدين تمامًا ، ويعملون من منطلق مصلحتهم الشخصيّة فقط وبعيدًا عن مصلحة البلد. فيقول برترام توماس في كتابه: "الإدارة التركية لبلاد ما بين النهرين كانت فاسدة وعاجزة والآفات الزراعية دمّرت الأراضي وكانت الإدارة والموظفون يعملون لصالحهم الشخصي بعيدًا عن مصلحة البلاد. وكانت أكبر الوظائف تباع بالمزاد العلني بانتظام والمزايد الأكبر ليأتي ويأخذ حقيبته بيده ويذهب بغير خجل ليقلّد المناصب لمن يشاء من موظفيه ولمن يشاء ممن يدفع أكثر ولمن في وسط مجموعته (أقاربه وأصدقائه). ولكي يبقى أكثر وألا يُستدعى فكان يجب عليه أن ينظر إلى شهية قيادته العليا ويرسل لهم ما موجود في بلاد ما بين النهرين". (أن ينهب ويرسل للسلطان)

(توماس, 1986: 115)

وأنّ وظيفة الوالي العثماني الذي يتم تعيينه في العراق كان يتم بيعها أيضًا, ومنهم ولاة يهود أتراك دفعوا ثمن المنصب. ولهذا فكان يتم تبديل هؤلاء الولاة في أوقات قصيرة لكي يتم بيع المنصب لمشترٍ جديد.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ولم تسلم حتى آثار العراق من شرور هؤلاء الذين يكرهون الحضارة. وفي أثناء تخبّطهم لغرض تحويل الأنهار لمحاباة بعض العشائر ومعاقبة عشائر أخرى؛ فتم بناء سدّة الهنديّة والتي كان أصلها مشروعا من أحد أثرياء الهند لإيصال الماء إلى النجف ولكن توسعت مع الزمن فتسببت بجفاف نهر الحلّة إلى درجة كبيرة مما استدعى بناء سد للسيطرة على الماء. وطبعًا فأن تمويل البناء كان بفرض مزيد من الضرائب على العراقيين بينما تمّ أخذ الطابوق عبر تدميرهم لقصر بختنصر الأثري في آثار بابل فاستخدموا الديناميت لتدمير أطلال ذلك القصر المهيب بحجة أخذهم للطابوق لبناء سدة الهنديّة. ولكن لو كان ذلك القصر موجودًا الآن لكان من الكنوز السياحيّة التي لا تقدّر بثمن.

(الوردي, ج3, 1971: 48-49)

علمًا بأن بعض المصادر تلقي باللوم على المهندس اليهودي المسؤول عن المشروع والذي كان قد أشار على الوالي العثماني بتدمير ذلك القصر لتوفير تكاليف شراء الطابوق. بينما كان هدفه الحقيقي هو تدمير آثار بابل بسبب الحقد الكبير والعداء الشديد الذي يكنّه اليهود لبابل ولملوك بابل وخاصّة للملك نبوخذ نصر الذي يسميه الفرس بختنصر.

وضمن تحالف العثمانيين العسكري مع الألمان, فكان العثمانيون يفتحون المناطق الأثريّة العراقية والسورية في بابل وتدمر للجنود والضبّاط الألمان لكي ينقّبوا بها ضمن فعاليات الترفيه عنهم.

(Stein, 2015)

ومن عمليات النهب تلك استولت ألمانيا على بوابة عشتار الأثريّة, والتي اضطروا إلى تفكيكها إلى قطع صغيرة لكي يتمكنوا من نقلها إلى ألمانيا عبر نهر الفرات والشحن البحري. وهي موجودة حاليًّا في متحف بيركامون في برلين. ويذكر بأن البريطانيين بعد احتلالهم للعراق ساروا على خطى الألمان بنهب كل ما وجدوه من آثار العراق. وأنّ الحجج التي تتعذّر بها الدول الغربيّة لبقاء تلك الآثار الرافدينيّة المسروقة في متاحفهم هي ضعيفة. ويمكن لحكومة عراقيّة تسعى لذلك مستقبلًا أن تعيدها.

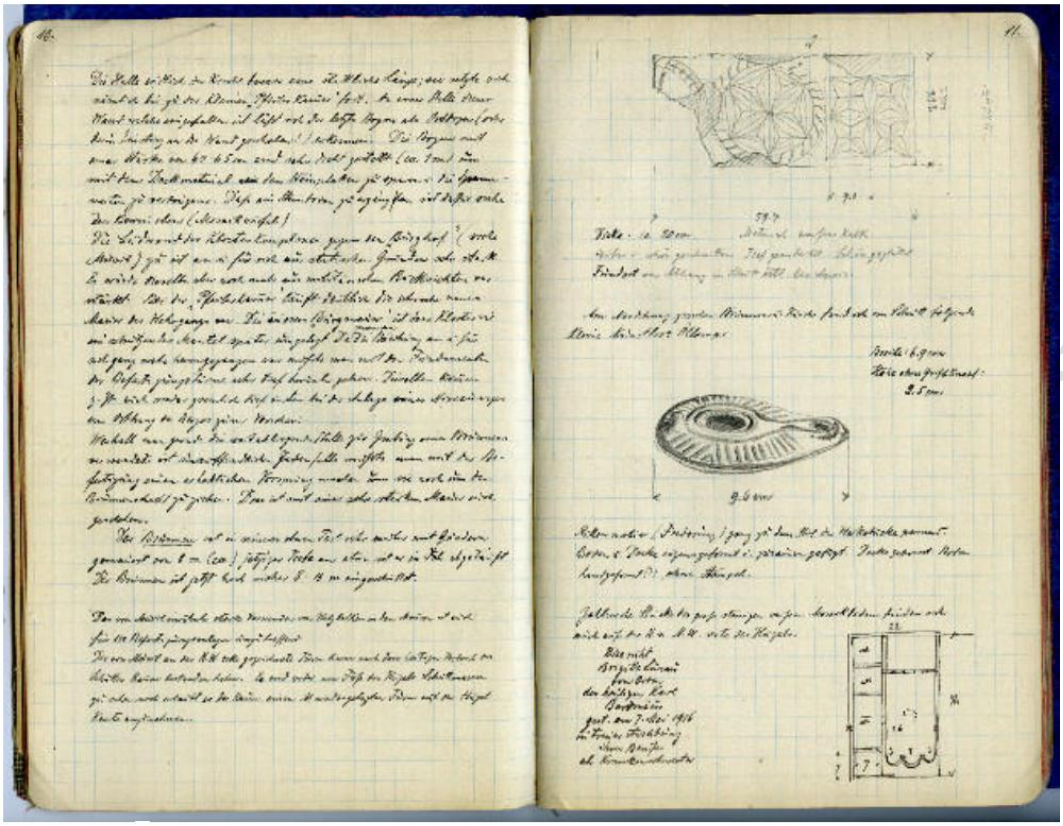

مذكرات التنقيب في بابل للضابط الألماني كارل وولزينغر

حقوق الصورة: © Deutsches Archäologisches Institut، Berlin، Germany

وقد كانت الدولة العثمانية تستخدم شباب العراق كوقود لحملاتها الاستعمارية وحروبها على العالم وخاصّة شباب العشائر في وسط وجنوب العراق. فكانوا يقومون بحملات التجنيد الإجباري للقتال ضد أعداء تركيا العثمانية. ومن تلك الحروب الكثيرة هي حروبهم ضد روسيا وحليفتها رومانيا عام (1877). فكانت الدولة العثمانيّة قد جهّزت جيشًا وألحقت به عشرات الألوف من أبناء العراق لقتال جيش رومانيا, فقُتل عشرة آلاف شاب عراقي وخسر العثمانيون تلك المعركة.

وأنّ تجنيد عشرات ألوف الفلاحين العراقيين للقتال في الحرب الروسيّة الخاسرة, كان قد أدى إلى ترك أراضيهم الزراعيّة وعملية حصاد مبكّر. ولهذا فلم يكن المحصول كافيًا لتغذية السوق المحليّة مما أدى إلى المجاعة في تلك الفترة (1877-1878).

(Güner, 2013: ”NA FO 78/2872; FO 195/142", P 20)

وفي عام (1904) استقدم العثمانيون جيشا آخر من شباب أبناء العراق لمحاربة إمارة حائل في السعوديّة فقتل خمسة آلاف شاب من أبناء العراق في تلك الحرب.

(السويداني, 2020: 370)

(الوردي, ج3, 1971: 35)

وقد كان أبناء العراق يردّون على ذلك الاحتلال العثماني الظالم بثورات عارمة لم تهدأ أبدًا. وعلى الرغم من وحشية الأتراك بالتعامل مع تلك الثورات وقتل الثوار, ولكن العشائر كانت بين حين وآخر تسترجع قوتها لتهجم على المحتلين.

الدليمي, محمد فيحان (بدون تاريخ): محاضرات في النظام السياسي في العراق المعاصر، المحاضرة الأولى. الكيان العراقي ونشأة الدولة : معالم المجتمع السياسي في العراق أواخر العهد العثماني الجامعة المستنصريّة.

ويوجد توثيق لبعض تلك الثورات ضد العثمانيين من قبل مؤرّخين مختلفين. وإن كان بعضهم متأثرًا بوجهات نظر كانت مستفيدة من الحكم العثماني بينما البعض الآخر كان يعبّر عن رأي غالبيّة الشعب العراقي المضطهد. ولها فربما نحتاج لجمعها والنظر إليها من داخل بودقة عراقيّة خالصة تمثّل آراء كل الشعب العراقي.

ومن تلك الثورات أيضًا ثورة العشائر عام (1880) وكان تعدادهم يزيد على العشرة آلاف مقاتل وكان الناس يغنون للثورة "فالح يغرنوك- طاسة وخذوها اروام- بيش أحلب النوك" والاغنية موجهة إلى فالح السعدون وعشيرته التي كانت تقود ثورة العشائر. وكلمة اروام يقصدون بها العثمانيين للغرض التشكيك بإسلامهم. وبيش أحلب النوك يقصدون بأن العثمانيين لم يتركوا لهم حتى آنية واحدة ليضعوا بها الحليب.

(العزاوي, 2005: 145-147)

وبعد فشل تلك الثورة بدأت ثورة حسن خيون الأسدي في (1889) واستمرّت لبداية القرن العشرين. وللأسف فبعض المؤرخين يحابون العثمانيين فيكتبون عن تلك الثورات المجيدة بشكل منحاز وينتقون ما يعجبهم من أحداثها وينظرون لها من وجهة نظر العثمانيين. فيصورون تلك الثورات على أنهم قطاع طرق ومجرمون يثورون على الخلافة الإسلامية التي يمثلها العثمانيون. ومن جانب آخر فأن العثمانيين كانوا

يستخدمون سياسة فرّق لكي تسد مع الجميع. فكانوا يتعمّدون تقسيم العشائر عبر تقريب بعضها وإعطائهم الأراضي وإبعاد البعض الآخر ومحاربتهم فيشغلونهم ببعضهم البعض. وكذلك فكانوا عندما يلاحظون ميل أحد الشيوخ للثورة والثوار فينصّبون شخصا آخر من عائلته أو أقاربه ويسلمونه الأراضي والسلطة العشائرية؛ فتبدأ الخلافات داخل العشيرة وهذه السياسة كانوا يتبعونها طوال احتلالهم لبلاد الرافدين التي أذاقوها الويل.

وعند بدء الحرب البريطانية العثمانية في العراق فكان العثمانيون قد أعلنوا التعبئة العامّة ضمن ما كانوا يسمونه السفر برلك. فقام شيخ الإسلام التركي خيري أفندي بإعلان الجهاد ضد الكفّار عام (1914), وأنّ خطة الجهاد كانت قد أتت بشرط من حلفائهم الألمان الذين نظروا لإعلان الجهاد على أنه سوف يكون له تأثير كبير وثورات شعبية ضد الدول الغربية المعادية وحتى روسيا - وأنّ القيصر الألماني كان قد نصّب نفسه منذ عام (1898) حاميًا لجميع المسلمين في العالم. وأنّ الألمان كانوا يدعمون الدولة العثمانيّة بقوّة عبر إرسالهم لحوالي 25000 جندي ومختص وقائد عسكري, وهم الذين حدّثوا الجيش العثماني وبنوا مصانع السلاح له, وهم الذين أسسوا القوّة الجويّة العثمانيّة التي كانت بدائيّة وأصبحت تدار بأفراد وعتاد ومعدات ألمانية, وكان رئيس البعثة العسكرية الألمانية الجنرال أوتو ليمان فون ساندرز قد أصبح هو القائد الأعلى للجيش العثماني الخامس والذي أجبر البريطانيين على الانسحاب في عام واحد ثم تمكنت القوات العثمانية في أبريل 1916 بقيادة الجنرال الألماني المشير كولمار فرايهر فون دير غولتز من الحاق الهزيمة الساحقة بالقوات البريطانية الهندية في كوت العمارة. أي إنّ النصر في تلك المعركة كان ألمانيًّا ولم يكن الفضل فيه للعثمانيين وحدهم.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ولكن العثمانيين انفسهم كانوا ينظرون إلى إعلان الجهاد بوصفه سلاحا استراتيجيا للدفاع عن الدولة العثمانية, وأداة تستخدمها للتحشيد الداخلي لمنع القادة المحليين العرب وغيرهم من تغيير موقفهم. وهذا أنّ جماعة الاتحاد والترقي التي كانت تسيطر على حكم الدولة العثمانية لم تكن تؤمن بفكرة الجهاد الإسلامي ولا حتى بالإسلام. ولكن الأتراك كثيرًا ما كانوا يستخدمون الجامعة الإسلاميّة والخلافة والإسلام عمومًا في خدمة مصالحها وسياساتها الاستعمارية. وكانت واسط وجنوب العراق هي أول ميدان لإعلان الجهاد والحرب المقدّسة والتجنيد القسري. ولكن قوبل إعلان الجهاد برفض وامتعاض شديد من العراقيين. وعلى الرغم من ذلك فكانت المشانق منصوبة لإعدام الفارين من الخدمة العسكرية الإجباريّة.

وقد كان الوالي التركي لبغداد جاويد باشا وهو يهودي الديانة هو الذي يحث العشائر العراقية للجهاد. فأعلن: "اعلموا ان أعداءنا أعداء الدين في مقاصدهم الملعونة من محو دين شفيع المذنبين عليه اكمل التحيات من رب العالمين, ومحو كلام الله المبين... ولكن المعتقدين لكتاب الله, والسالكين في سبيل الدين, والذين يحبون كتاب الله وديانتهم قد جاهدوا لحفظ الدين والكتاب, ولم يحصل لهم تردد في إراقة دمائهم... فيجب على

كل مؤمن موحد سيما العرب الأنجاب, ان يطابق أفعالهم أقوالهم, لما يجب عليهم من محبة الدين, والحماية على حوزة المسلمين... يجب على كل مسلم مجاهد أن يحضر لمة حربة وسلاحه... هذا يوم إبقاء الدين والإسلام, وشرف الدين والإيمان, وفي مثل هذا اليوم يحصل علو الدين وشريعة سيد المرسلين"

(عبد, 2021: 63-65)

(Stein, 2015)

ونسرد إحدى جرائمهم الكبرى التي حصلت عام (1914-1915) وتمّ التعتيم عليها, عندما ساق العثمانيون عشرات الألوف من شباب العراق معظمهم من جنوب ووسط العراق ورموهم بأعالي الجبال على الحدود مع روسيا في جبهة القوقاز من دون تجهيزات لمقاومة البرد القارص هناك فتجمّدوا حتى الموت. وهي ما تعرف بصاري قاميش ومات فيها ثمانية وسبعون إلى تسعين ألفًا بحسب التقديرات, وغالبيتهم من المجندين العراقيين وخاصّة من مدينتي الكوت والعمارة. حسبما يقول الباحث فاتح أوكة من بيت الإعلاميين العرب في تركيا.

(برنامج يوتيوب, قرن على موت 90 ألف جندي عثماني متجمدًا, 2020)

أمّا المصادر الأكاديمية التركية فتشير باقتضاب إلى أن جنودًا من ولايات العراق العثمانية كانوا ضمن المجندين في تلك المعركة. بينما يذكر التلفزيون التركي TRT وضمن روايته الرسميّة عن المعركة اعترافًا بأن معظم الجنود كانوا من المناطق الجنوبيّة الصحراوية ، ويقصد بهم من ولايات العراق الجنوبية ، فيقول "وكان أنور باشا يهدف إلى ضرب الروس بقوة كبيرة من مكان غير متوقع، عبر عبور جبال "الله أكبر" التي يبلغ ارتفاعها 3 آلاف متر في بعض الأماكن، لكنه تجاهل أن معظم الجنود المشاركين في الحملة كانوا قد جاؤوا من الصحراء ويرتدون الزي الصيفي. وما أن هبت العاصفة الثلجية وانخفضت درجة الحرارة إلى 30 درجة تحت الصفر، حتى قضى ما لا يقل عن 37 ألف جندي عثماني بسبب قضمة الصقيع والتيفوئيد في الأيام الأولى."

(قناة TRT عربي, صاري قامش.. ملحمة كتبها الأتراك ضد الغزو الروسي رغم البرد القارس والثلوج, 2022)

ولكن من البحث في مصادر غير تركيّة؛ يتبيّن بأن أنور باشا الذي كان وزير الحرب العثماني قد أمر الجنود بالتخلي عن معاطفهم وخيامهم وحقائبهم العسكرية التي تحتوي على أغطية وأدوات الطهي. متذرّعًا بمحاولة تسريع الهجوم على صاري قاميش بدون حمل التجهيزات. وكان قد رفض مشورة الجنرال الألماني باستحالة الهجوم على صاري قاميش بتلك الخطّة. وهذا الموضوع كان في شهر كانون الأول إذ تكون درجات الحرارة في تلك المنطقة دائمًا منخفضة لما دون -30 درجة مئوية، وبدأت العواصف الثلجية، مما

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أدى إلى محاصرة عشرات الآلاف من الجنود العثمانيين ذوي الملابس المتهالكة في الممرات الجبلية. كان معظمهم بدون ملابس شتوية، وكان بعضهم بدون أحذية. في هذه الأثناء، مكّنت الاحتياطيات التي وصلت حديثًا الروس من شن هجوم مضاد. وكانت النتيجة هزيمة نكراء لم يتعاف منها الجيش العثماني تمامًا. وبعد تدمير الفيالق الثلاث وموت عشرات ألوف المجندين وهم متجمدون ذهب أنور باشا ليضع اللّوم بتلك الهزيمة على خيانة الأرمن ؛ لأن بعضهم كان قد فرّ من جيشه.

(Martirosyan, 2023)

(MSW, 2020)

هذا الموضوع بموت عشرات الألوف من الشباب العراقيين ، وهم متجمدون يُثير الشكوك بقوّة؛ ولأنهم اقتيدوا بالقوّة من مناطقهم الدافئة وبملابسهم الخفيفة المعدّة لجو جنوب العراق الدافئ. وبشهادة المصادر فأن الجنود كانت ملابسهم متهالكة وبعضهم يسير حافيًا على الثلوج. فهل أنّ القادة الأتراك ومنهم قائد الجيش أنور باشا لم يكونوا مدركين بأن هؤلاء سوف يتجمّدون للموت بملابسهم تلك ، وهم فوق قمم الجبال وأنّ العواصف وانخفاض درجات الحرارة هي بديهيّة هناك ، وليس هنالك مفاجأة بهذا الخصوص. ولماذا يطلب منهم خلع معاطفهم وترك أغطيتهم وخيامهم وقدورهم وطعامهم بحجة تسريع حركتهم للهجوم. وهذا العذر غير مقبول منطقيًا ويبرز كأنه محاولة فاشلة للتغطية على جريمة قتل هؤلاء الأسرى الذين اقتادوهم بحجّة التجنيد من مناطقهم الدافئة في جنوب العراق. وربما يحتاج الموضوع لبحوث مكثفة للاستنتاج في كون قائد الجيش التركي إن كان مجنونًا حقًّا كما يحاولون الإشارة أم أنه كانت لديه خطّة لقتل هؤلاء المجندين ولأنه رفض مشورة القائد الألماني الذي كان يرسم له الاستراتيجيات. وهل حقًا كان العثمانيون يريدون استخدام هؤلاء كجنود محاربين أم أخذوهم هناك ليقتلونهم. وخاصّة بأن تلك الأحداث وقعت في المدة التي تلت إخماد ثورات العشائر العراقيّة ضدهم, وهجوم جيش أبناء عشائر جنوب ووسط العراق عليهم. فكانت ثورات عشائر العراق لا تهدأ أبدا. وبعد ذلك دخول الاحتلال الإنكليزي في بداياته ومغازلته لأبناء العشائر بحجّة مساعدتهم لتحرير العراقيين من العثمانيين. فما كان من العثمانيين إلا أن يفكّروا بقتل أكبر عدد من شباب أبناء العشائر لكي لا يكونوا أداة لمحاربتهم ويخسروا العراق الغني بالمصادر والثروات التي كان العثمانيون ينهبون بها طوال أربعة قرون. وبالتأكيد فأن الحفاظ على احتلالهم للعراق هو أكبر من قيمة منطقة جبلية على الحدود مع روسيا.

وطبعًا فأن الدولة العثمانيّة ذات الأهداف التوسّعية كانت بحالة حرب مع جميع جيرانها, فارتكبت ضدّهم أبشع أنواع الإبادة العرقيّة والدينيّة وفرض الضرائب ونهب الثروات والتهجير الممنهج للسكان في مصر والسعوديّة والشام والعراق وكانوا يقتلون الناس حتى في المساجد.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ولم يتوانوا عن نهب وسرقة حتى الكعبة فقام فخري باشا بسرقة الأمانات المقدسة من الحرم النبوي، ونقلها إلى إسطنبول، ونقل الذخائر إلى داخل الحرم، وإقامة ثكنة عسكرية بداخله غير عابئ بقدسيته ومكانته لدى المسلمين، وما يحتويه من مرقد النبي محمد وصحابته. وكثير من تلك الآثار الخاصّة بالنبي هي معروضة اليوم في متحف طوبقاي في أسطنبول. ولأن الدولة العثمانية كانت قد استولت على الكنوز التاريخية من مكّة والمدينة. وقد ذكر ذلك علي السنجاري (1647-1713) في كتابه.

(السنجاري, 1998)

الاضطهاد العثماني ومعاناة المندائيين

لقد ذكرنا سابقًا بأن العثمانيين كانوا ذوي عنصريّة قوميّة ودينيّة مقيتة. ولهذا فقد تميّز عهدهم باضطهاده لجميع الأقليات الدينيّة في العراق. فحاربوا اليزيديين ودمّروا قراهم التي كانت خارج جبل سنجار بالمدافع عام (1893) وذبحوا الرجال وسبوا النساء والأطفال؛ وذلك بعد أن رفضوا أن يلعنوا الشيطان أمام الناس وأن يتحولوا للإسلام. ولكنهم خسروا المعركة أمام اليزيديين الذين كانوا يحتمون بجبل سنجار.

(الوردي, ج3, 1971: 53)

والمجازر التي حصلت للمسيحيين ومنهم الأرمن في (1894-1896). فهم لم يثقوا بالمسيحيين الذين كانوا يعيشون داخل تركيا في أوقات الحروب. فأصدرت الحكومة العثمانية تعليماتها بنفي المسيحيين والأرمن من بيوتهم في تركيا مشيًا على الأقدام باتجاه الموصل وسوريا ودير الزور. ولكن الرجال كانوا قد هربوا مخافة قتلهم؛ فتم ترحيل غالبية من النساء والأطفال مشيًا على الأقدام. وفي الطريق قام الحراس العثمانيون بسرقة واغتصاب الأفواج ولم تسلم من الاغتصاب حتى البنات الصغيرات ومات الكثير منهم جوعًا وخاصّة الأطفال. وتبرز الإحصائيات موت 300-600 ألف مسيحي وأرمني في العملية بحسب تقديرات الأتراك أو المصادر الأوروبية.

(الوردي, ج4, 1971: 23-26)

وأمّا بالنسبة للمندائيين فحالهم لم يكن أفضل من اليزيديين أو المسيحيين. ولمعرفة معاناة المندائيين في جنوب العراق وكذلك الأحداث التي حصلت في تلك المرحلة. نبحث في الأرشيف البريطاني الحكومي الذي هو عبارة عن المراسلات القنصليّة البريطانيّة التي كانت بين قنصلياتهم في البصرة وبغداد مع الحكومة البريطانيّة. وهي تتكون من 69 صفحة بعنوان تلاميذ يوحنا المعمدان/ الصابئة وتغطي السنوات 1873-1898. ويمكن الحصول عليها من الموقع الرسمي البريطاني.

The National Archives. FO 602/39. Correspondence concerning the Sabaens (followers of John the Baptist).1873-1898.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وقد تمّ نشر ملخّص لتلك المراسلات من قبل باحثة في إحدى الجامعات التركيّة التي كانت تتحصّل على نسخة من ذلك الأرشيف الحكومي البريطاني, وأضافت لها بعض الأحداث المتعلّقة بالصابئة من السجلات العثمانية الموجودة في تركيا.

(Güner, 2013)

ومن البحث في الأرشيف, فنجد الكثير من التقارير التي تتحدّث عن خطف النساء المندائيات وسرقة الصاغة المندائيين وقتلهم والكثير من الجرائم الأخرى. حيث أن اضطهاد الصابئة المندائيين كان مُمنهجًا من قبل العثمانيين وعلى جميع الأصعدة . فهم كانوا يفسحون المجال للمجرمين وقطاع الطرق بأن يضطهدوا المندائيين ، فيختطفون النساء المندائيات ، ويحولوهن بالإكراه عن دينهن أو يسبوهن ويتركوهن. وكذلك كانوا لا يلاحقون الجناة الذين يقتلون الصاغة المندائيين ، ويسرقون أموالهم, وإن تساهلهم مع تلك الجرائم كان بسبب كونهم يكفّرون المندائيين ويعدون اضطهادهم وحتى قتلهم مباحًا. وكانوا يمنعونهم عن أداء طقوسهم وشعائرهم الدينيّة.

ونأخذ بعض تلك المراسلات:

* المستند في (1 آذار 1879) حول البرقية التي أرسلها اللواء نكسون نائب القنصل إلى القنصل البريطاني روبرتسون في البصرة. فكتب بأن خمسة فتيات من مُجتمع الصابئة في سوق الشيوخ كُن قد أختُطفن رُغمًا عنهن. وعلى الحاكم العثماني أن يتخذ الإجراءات للتحقق من الموضوع. ولكن الوالي العثماني عبد الله باشا قد أدّعى بأن اثنتان من الفتيات الصابئيات قد تم تزويجهن بمسلمين ولا توجد عملية اغتصاب.

وفي (29 نيسان 1879) استخدم نائب القنصل البريطاني في البصرة تعبيرًا في رسالته يبين فيه بأن اختطاف الفتيات الصابئيات كان شائعًا.

(Güner, 2013: ”FO 602/39, s. 8-9.", P 15-16)

* وتعرّض صاغة الفضة الصابئة للسرقة والقتل على نهر دجلة في طريقهم من العمارة للبصرة وكانت ثاني حالة تسليب وقتل تحصل للصابئة في تلك السنة 1879. وانكشفت جرائم القتل وتم معرفة المجرمين وحاولت عوائل المقتولين تسجيل الشكوى. ولكن الحاكم العثماني في البصرة عبد الله باشا رفض ذلك وكتب بأن على العوائل الصابئية أن تقوم بتسجيل شكواها في نفس مكان وقوع الجريمة, وهي في منطقة القرنة التي كانت عصابة اللصوص لهم السطوة فيها مما يعني رفض إقامة الدعوى, لأن أهالي المقتولين لن يتمكنوا من الذهاب.

(Güner, 2013: "BOA. HR. TO. 257/61". P 17)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

* وفي (19 تمّوز 1879) أفاد القنصل البريطاني في بغداد بأنه تلقّى رسالة شكوى من الصابئة في البصرة بشأن سوء معاملتهم, وطلب من محاوره في البصرة أن يقدم أفضل ضباطه لمساعدة الصابئة في التحقيق في قضيتي صائغي الفضّة اللذين قتلا.

(Güner, 2013: "FO 602/39, pp. 32-33". P 19)

* ثمّ كتب القنصل البريطاني في البصرة روبرتسون في رسالته: "بأنه كان قد ناقش قضية قتل الصاغة الصابئة مع الوالي العثماني في البصرة عبد الله باشا وسأله كيف يسمح بإغلاق مثل هذه الجريمة الكبيرة بدون تحقيق؟ ولكنه لم يحصل على جواب مقنع."

وأقر روبرتسون: "بأنه في ضوء هذه الإدارة العثمانية فأن الصابئة ليس لهم أمل بتحقيق العدالة والأفضل أن ينتظروا إدارة جديدة.. وفي نهاية رسالته وصف روبرتسون عبد الله باشا بأنه متعصّب دينيًّا وبأنه شخص ضعيف. وضمن ادعاء روبرتسون, فأن المحكمة العثمانية تسير على الرشوة من قبل عبد الله باشا الذي هو فاسد ومُنحاز وبأنها قد اتخذت موقفًا غير عادل تجاه الصابئة"

(Güner, 2013: "FO 602/39, s. 26-27". P 17-18)

وطبعًا فأن هؤلاء اللصوص لم يكونوا يعملون بمفردهم وإنما تشهد المراسلات البريطانية على كونهم شركاء مع الحكّام العثمانيين. فيقول برترام توماس: "لقد كانت فعالية الأتراك هي أن مفهوم الحق مع المنتصر. وهو ما دفع المسؤولية عن اللصوص والشيوخ". وأنّ اللّصوص كانوا يعملون لخدمة بعض الشيوخ الذين يتبعون للأتراك وبدورهم فكانوا يرسلون الهدايا والمقتنيات للحكام الأتراك فيشاركونهم ويحصلون على الحماية.

(توماس, 1986: 117)

ومن هذا الظلم الكبير الذي كان يعاني منه الصابئة تحت الاحتلال العثماني؛ فكانوا يرسلون الرسائل والشكاوى إلى إسطنبول ولكن من دون استجابة. ولأن حكومتهم وساستهم في أعلى المستويات كانوا عنصريين وظالمين.

ونجد المراسلات التالية:

*"برقيّة مكتوبة بالعربية مؤرخة بتاريخ (18 تشرين أول 1878) تحتوي على شكوى ضد والي البصرة عبد الله باشا, كانت قد أرسلت إلى إسطنبول من قبل الصابئة المقيمين في الناصرية ومُرفقة باثنين وسبعين توقيعًا. ثمّ برقية أخرى ضد والي البصرة بتاريخ (20 تشرين أول 1878) وكانت تحمل توقيع عائلة السعدون المقيمة في الناصرية.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

(Güner, 2013: ”BOA. HR. TO. 555/135. 23 Zilhicce 1295/18 Aralık 1878", P 14-15)

ولو نعود إلى الأسباب التي جعلت الحكّام العثمانيين في مدن العراق ومنهم الوالي العثماني في البصرة, غير مُهتمين بملاحقة المجرمين أو بطلب العدالة للصابئة المندائيين؛ وذلك لأن سياسة حكومتهم الرسميّة كانت تكفّر الصابئة ولو أنّ ذلك لم يكن بصورة علنيّة.

فقد كتبت لجانهم الرئيسيّة التي كانت تأتي من العاصمة إسطنبول ضمن بعثات تقصي الحقائق التابعة للحكومة العثمانيّة في المركز في (13 حزيران عام 1896): "بأن الصابئة هم بقايا ديانة قديمة من عابدي النجوم." وهذا الإقرار العثماني كان يفتح الباب على اضطهادهم وقتلهم, ولأن العثمانيين كانوا من غير المتسامحين دينيًّا مع العبادات التي يشخّصونها على أنها وثنية أو غير سماوية. هذا فضلًا عن كون التقرير كان جاهلًا بتعاليم القرآن الكريم الذي ذكر الصابئة ضمن المؤمنين في ثلاث آيات مدنية ، وهي سورة البقرة62 / سورة المائدة69 / سورة الحج17.

"ثمّ يقدم التقرير العثماني أدلة على تعرض الصابئة للاضطهاد من قبل الإدارة العثمانية في أماكن سكنهم بسبب معتقدهم".

كما يوجد تقرير آخر من الكولونيل نيكسون القنصل البريطاني في البصرة. وكان قد أرسله إلى القنصلية البريطانية في بوشهر في (4 نيسان 1896) ويدعم الادعاء بوجود الاضطهاد الديني ضد الصابئة وبأن السلطات التركية كانت تقمع الصابئة.

(Güner, 2013: ”FO 602/39. pp.47-48", P 22)

وهذا يُعطي الدليل على أن الحاكم العثماني في البصرة كان يستبيح أموال ونساء الصابئة, وبالتالي فهو لم يكن يعنيه الأمر بخطف النساء الصابئيات وقتل التجّار والصاغة المندائيين.

ومن الاضطهاد العثماني الممنهج ضد الصابئة المندائيين في أرض أجدادهم, فقد أعطاهم ذلك سببًا لكي يحاولوا الحصول على المساعدة بالحماية من أطراف أخرى ؛ ولأنه لا أحد يستجيب لشكواهم . وكان البريطانيون موجودين في جنوب العراق بقوّة عبر قنصلياتهم ونفوذهم. فنجد بعض تلك المراسلات التي تتحدّث عن الصابئة بكونهم يريدون الحماية البريطانية. وهو ما كانت بريطانيا توفّره للمسيحيين العراقيين. ولكن في حالة المندائيين رفضوا إعطاءهم الحماية, ولكنهم استغلّوا الموضوع سياسيًّا في أوروبا عبر القول بأن العثمانيين يضطهدون أتباع أو (مسيحيي) القديس يوحنا أي بجعلهم للصابئة المندائيين كطائفة مسيحيّة, ومن دون إبراز الخلافات في العقيدة المندائيّة عن المسيحيّة. في سبيل تأليب الرأي الغربي المسيحي بإعلان الحرب ضد العثمانيين الذين كانوا يرفعون شعارات الخلافة الإسلاميّة.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وفي الأرشيف البريطاني نجد بعض تلك الوثائق عن طلب المندائيين للحماية البريطانيّة.

* في 20 آذار 1891 تمّ تقديم طلب بالحماية من قبل الصابئة إلى السفير البريطاني في البصرة. وكان موقّعًا من أربعة أشخاص بأنهم يمثّلون آخرين. وذكروا بأنهم صاغة وبأن شيخهم اسمه صَحَنْ.

(Güner, 2013: "FO 602/39, pp. 34-35", P 19)

* في (24 آذار 1891) ممثّل بريطانيا في مومباي كتب رسالة إلى بغداد بأن الالتماس المقدم من قبل بعض الصابئة من مدينة الناصرية بأنهم يريدون أن يكونوا تحت الحماية البريطانية. وأن طلبهم قيد الدراسة. وبأن الصابئة يستعدون جميعهم للهجرة إلى البصرة ليكونوا تحت الحماية البريطانية. ولكن القنصل البريطاني في البصرة لم يكن يمتلك الصلاحيات اللازمة لمثل هذه الحماية, وتمّ توجيهه للتعبير الشفوي للصابئة بأنهم سوف يساعدونهم قدر المستطاع.

(Güner, 2013: "FO 602/39, s. 35-37", P 20)

ونفهم من تلك المناشدات المندائية بطلب الحماية بأن البريطانيين لم يأخذوها بجديّة. وبأنهم تظاهروا بالمساعدة ولكنهم لم يقدّموها؛ وذلك في سبيل استخدام الاضطهاد المندائي كورقة سياسيّة في الدول الغربية لدعم الحرب ضد العثمانيين بحجة اضطهاد المسيحيين ومنهم الصابئة الذين تمّت تسميتهم بأتباع (أو بمسيحيي) القديس يوحنا.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

العمق التاريخي للمندائيين ولعائلة الشيخ صَحَنْ

قبل البدء بعرض قضيّة أعتقال رئيس الصابئة الشيخ صحن وأبناءه الشيوخ الآخرين بتهمة مساعدة ثورة العشائر العراقيّة ضد الحكم العثماني. فنحتاج لتبيان القِدم المندائي في بلاد الرافدين وخلفيّة العائلة الدينيّة التي كان ينتمي لها الشيخ صَحَنْ. فقد كانت رئاسة الصابئة في العراق تاريخيًا تتبع لعشيرة المندويّة, وهي العشيرة التي توارث رجال الدين فيها السلك الديني منذ آلاف السنين بدون انقطاع. فكان جميع رجال الدين فيها أبناء لرجال دين آخرين ولم يكن يسمح بدخول السلك الديني سوى لتلك السلالات الدينيّة والتي تُسمى بالناصورائيّة. ومنهم رجال دين عشيرة المندويّة والتي هي واحدة من أقدم وأكبر سُلالات الشيوخ المندائيين والموجودين فقط في الجزء العراقي من بلاد الرافدين على ضفاف دجلة والفرات. وفي بدايات القرن التاسع عشر كان رئيس الصابئة هو الشيخ صكر الشيخ بهرام المندوي, وكان يمثّل استمرارًا للسلالات الناصورائيّة القديمة التي توارثت السلك الديني وهم كانوا أصحاب الأرض الأصليين ومقرّهم على نهر الفرات وفي سوق الشيوخ وفي الأهوار.

وقد كانت الباحثة دراور قد ذكرت, بأن الدرجة الدينيّة الأعلى وهي درجة الريش أمة أو قائد الأمّة, يجب أن تكون من كهنة عائلة المندويّة العريقة في السلك الديني.

(Drower, 1937: 130)

في المدة التي سبقت ظهور المسيحيّة, كان الناس في بلاد الرافدين يتبعون أديانا متعددة ولكنها متقاربة بالمفاهيم الرئيسيّة ، ومن تلك الأديان كان الدين الصابئي المندائي والذي هو استمرار للمعتقدات السومريّة والبابليّة والآشوريّة ومدارسها المتعددة.

فيقول عالم الآشوريات هنري لايارد أوستن (1817-1894) "Henry Layard Austen" في كتابه نينوى وبقاياها بأن الدين الآشوري في بداياته كان صابئيًّا نقيًا:

* "على ضوء دراسة المُكتشفات الآشوريّة هُنالك تمييز يُمكن مُلاحظته بين الدين الآشوري في مراحله المُبكّرة والأخيرة، رُبما بسبب الفساد الذي حلّ تدريجيًّا على اللاهوت الآشوري. فقد كان الدين الآشوري صابئيًّا نقيًّا في مراحله الأولى، وقد كانت الأجسام السماويّة يتم تَعظيمها بكونها من سِمات الآلهة العُليا. ومن العصور السَحيقة لهذه العبادة الفطريّة، وهُنالك أدلّة وافرة على كونها قد نشأت لدى سكّان السهول الآشوريّة. ويوجد لدينا شهادة موحّدة عن التأريخ المقدّس والمدنّس وهي قد أخذت العلامة المثاليّة الكاملة، إذ أنه "الدين الصابئي" يُعد أقدم نظام ديني وسَبَقَ حتى المصريين."

وبعد ذلك يستمر بالشرح عن الموضوع فيقول بأنه مدين لأحد عُلماء التاريخ بهذا الإقرار وهو:

* "لا يوجد شك في كون الصابئيّة هي دين الكلدان والآشوريين في مراحل ديانتهم المُبكّرة"

(Layard, 1849: 439-440)

كما أنّ اللّغة المندائيّة هي منحدرة بصورة مباشرة من اللّغة الأكديّة ومعظم المفردات المندائيّة لها جذور في اللّغة الأكديّة. وكذلك فأن النصوص المندائيّة هي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا ببلاد الرافدين من ناحية الجغرافيا التي تُذكر فيها والمفاهيم والقصص والشرائع التي كانت موجودة قديمًا هناك.

(الجادر, 2024: 652)

إنّ البحوث التي أجراها المستشرقون في القرن التاسع عشر عن معتقدات بلاد الرافدين القديمة كانت تعترف بحقيقة كون الدين المندائي هو استمرارا للمعتقدات البابليّة والآشوريّة. ولكن في بدايات القرن العشرين وبعد سيطرة بريطانيا الاستعماريّة على العالم, تغيّر ذلك الاتجاه في البحوث بصورة مفاجئة؛ بسبب كون البريطانيين يتبعون للفلسفة الصهيونيّة والتي تعادي فلسفة وتاريخ بلاد الرافدين وتحاول نسبة جميع الفلسفات الدينيّة لها. ولهذا فأن أكثر الآثار الرافدينيّة التي استولت عليها الدول الاستعماريّة وخاصّة بريطانيا, بقيت أسيرة في مخازن متاحفهم ومؤسساتهم ولم يخرج منها للعلن سوى ما كان تفسيره لا يتعارض مع

أجنداتهم الدينيّة السياسيّة التي تتعلّق بتهميش تاريخ بلاد الرافدين ومنه التاريخ المندائي؛ والذي صاغوا له نظرية سطحيّة لا تستند إلى أدلّة وتحاول أن تنسب الدين المندائي إلى فلسطين في سبيل الاستحواذ على التاريخ المندائي وجعله تابعًا لهم فيقطعونه عن جذوره الرافدينيّة.

وقد كنت قد بينت على عجالة بطلان تلك النظرية الغربية التي تقول بالأصل اليهودي للمندائيين.

(Al-Jader, RTP. 2024: 966-968)

وقد وُجدت النقود المضروبة باللّغة المندائيّة في أطلال وآثار مملكة ميسان, التي كانت منذ القرن الثالث ق.م ولغاية القرن الثالث الميلادي. فكانت النقود تصوّر أحيانًا مع ملوك حليقين والكتابة باليونانية وأحيانًا أخرى مع ملوك ملتحين والكتابة بالمندائيّة. وذلك بسبب الأغلبيّة المندائيّة هناك. وهو ما يعني بأن عائديّة تلك المملكة كانت للمندائيين الذين كانوا تحت حكم الهلنستيين بعد دخول الإسكندر, ولكن تحوّل الحكم لهم لاحقًا بكونهم غالبيّة السكان. كما وجدت آثار الصابئة من العُمل المعدنيّة وألواح وتمائم الرصاص والفضة والذهب والأواني النذريّة المكتوبة باللّغة المندائيّة في مناطق كثيرة ومنها أوروك, ونيبور, وكذلك في خويبر على نهر الفرات شمال المسيّب بين بابل وبغداد, وفي تلّو التي هي مدينة كرسو السومريّة شرق كيش, وفي كيش التي هي مدينة سومريّة أيضًا وتسمى كيشاتو, وفي آثار بابل, وفي مناطق متفرقة من محافظة ميسان وضمنها هور أم البقر, وفي نقطة التقاء نهري دجلة والفرات في القرنة, وعلى سفوح جبال بثت كوه في الشرق, وفي إيران مقابل شيخ سعد وفي الأهواز, وفي سوسة "شوشتر", وفي همدان, وفي مدينة الرقّة السوريّة جنوب حرّان,.. ومناطق أخرى متفرّقة في العراق وإيران.

(سباهي, 1996: 182-184)

(Yamauchi, 2000: 260)

(Hunter, 2000: 139-147)

(Müller-Kessler, 1998: 83)

(رودولف, 1994: 54)

وأنّ وجود تلك الآثار المندائيّة في أماكن كثيرة وضمن المدن الآثاريّة التي سكنتها حضارات بلاد الرافدين القديمة وخاصّة في أزمان حمورابي وصولًا إلى نبوخذ نصر؛ فهذا يدل على كون الدين المندائي كان مُنتشرًا في عموم بلاد الرافدين.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ومع ذلك فلا يعطي المستشرقون تقديرات حقيقيّة لقِدم الآثار المندائيّة وإنما يُرجعون اقدمها إلى القرن الثاني الميلادي. والغريب في الموضوع هو بأنه لم تتم أية محاولة حقيقية لتحديد أعمار تلك الآثار المُكتشفة بالكربون المُشع أو غيرها من الطرق. ولكن المستشرقَين ليدزبارسكي وماكوخ كانا هما اللذين وضعا تلك التواريخ وسار على قولهما الباحثون الآخرون أمثال دراور ورودولف وغيرهما . وهذا ما كان البروفسور ياموجي قد وضّحه في كتابه (غنوصيّة ما قبل المسيحيّة) فقال بأنهم لم يفحصوا تلك المخطوطات المندائيّة بالكربون وأن ماكوخ وليدزبارسكي اللذين فحصا تلك المخطوطات قد أرجعا أقدمها للقرن الثاني الميلادي. وعلى الرغم من أن ماكوخ كان قد استدرك ذلك الخطأ ، وقال بصعوبة إعطاء الآثار المندائيّة تاريخًا بعد النقاش عن ذلك.

(Yamauchi, 1983: 127)

وموضوع الحياديّة طبعًا هو غير ممكن بالنسبة لهؤلاء المستشرقين ؛ لأن إعطاءها تاريخًا لما قبل الميلاد. سوف تترتب عليه تبعات تخص الديانة العالميّة الأكبر والمسيطرة على معظم بقاع الأرض. والتي كانت ولا تزال اليهود يضعون أنفسهم قيّمين عليها.

يُذكر بأن مارك ليدزبارسكي هو يهودي تحوّل لاحقًا إلى المسيحيّة الصهيونيّة التي تكون أهدافها استخدام السياسة العالمية لتحقيق نبوءات العهد القديم. وأما ماكوخ فهو كان مبعوثًا من الكنيسة اللوثريّة لدراسة الدين المندائي.

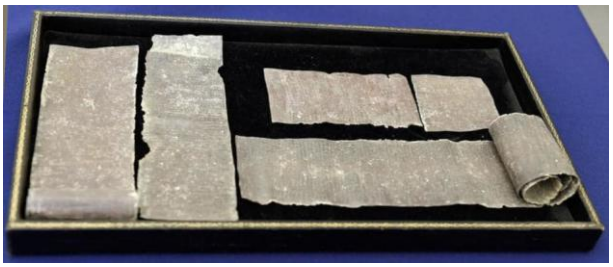

مجموعة من الآثار المعدنيّة المكتوب عليها نصوص دينيّة مندائيّة, وقد سُرقت هذه الآثار من المتحف العراقي بعد احتلال العراق في (2003), ثم وجدت لاحقًا لدى مزادات شركة هوبي لوبي الإسرائيليّة في أميركا ضمن أكثر من 17000 قطعة مسروقة من آثار العراق, وتمّت مصادرتها وأعيدت للعراق عام (2021). (سكاي نيوز عربيّة, 2022)

وأن مدينة الطيب في جنوب العراق كانت آخر معاقل الصابئة المندائيين وهي من بقايا مملكة ميسان. ولكن المؤسف له هو عدم أجراء أي عمليات تنقيب في تلك الآثار المهمّة والتي تحتوي على كهوف وقنوات

لنقل المياه منحوتة في داخل الجبال والأرض وتمتد لمسافات بعيدة . وربما لن تجد الأجيال القادمة أي متبقٍّ لتلك الآثار بسبب شركات النفط التي تقوم بتدمير تلك الأراضي وتلويثها بمتبقيات الصناعة.

(برنامج يوتيوب قناة العراقيّة مع أحمد صالح, 2022)

لقد كانت بلاد الرافدين في النصوص السومريّة والبابليّة تسمى "ببلاد ذوي الرؤوس السوداء" في إشارة إلى سكانها. بينما كان أسم العراق في ذلك الوقت "أرض السواد", وبقي هذا الاسم المستند على النصوص السومريّة والأكديّة والبابليّة لغاية الفتح الإسلامي.

(أبو الصوف, 2010)

ولكن بعد ثلاثة قرون من دخول الإسلام فأن تلك التسمية كانت قد تغيّرت كليًّا إلى العراق. كما يستدل على ذلك من توثيق المؤرخين المسلمين ومنهم الطبري, فكانوا عندما يروون سير المعارك في فتح العراق يشيرون إليه بأرض السواد, بينما في وقتهم الذي كان بعد ثلاثة قرون من فتح أرض السواد كانوا يسمونه العراق. فنجد في تاريخ الطبري بابا يسمى "ذكر أحوال أهل السواد" وفيه يتحدّث عن التفاعل الذي تمّ بين المسلمين الذين دخلوا للعراق بعد أن دحروا الفرس منه. وأنهم كانوا قد حللوا الزواج من أهل السواد على الرغم من اختلاف دينهم. وهذا ربما يشير إلى أنهم كانوا من الدين الصابئي المندائي؛ ولأنهم كانوا يذكرون النصارى واليهود بدينهم, ولكن كُنية أهل السواد كانت خاصّة للصابئة.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

(الطّبري, بدون تاريخ, 617-621)

إنّ المُتتبّع للمخطوطات الدينيّة المندائيّة الأصليّة, سوف يجد في نهاياتها قائمة طويلة من النسّاخ الذين نسخوا تلك المخطوطات. وهُم يُذيلونها بقائمة من أنسابهم وسلالاتهم الدينيّة المُتوارثة التي تذهب بعيدًا في الزمن ويختمونها باللّقب ومن ثمّ بالكنيانة "وكلمة كنيانة بالمندائيّة تعني الأصل ومكان النشوء". فاللّقب والذي هو في الغالب يعود إلى الصِفة التي تُطلق من قبل الشخص نفسه أو من غيره عليه وليس لها دلالة للأصول ولا للتاريخ فهي قابلة للتغيير. ولكنّ الكنيانة هي ذات دلالة عن الأصول ولا تتغيّر وهي أقدم وأهم بكثير من اللّقب.

ولو عدنا إلى تلك المخطوطات فسوف نجد بأن شيوخ العشيرة المندويّة يَحملون كنيانة "إكوما" وتعنى أسوَد والذي هو انتساب لأرض السواد. أي إنهم ينتمون إلى نفس القوميّة السومريّة القديمة فبقيت مُلاصقة لهم لآلاف السنين. وفيما يلي ترجمة للبعض من تلك الهوامش التي كتبها رجال دين يتبعون لعشيرة المندويّة.

صورة النسخة الأصليّة مع المرفقات (1).

مع ملاحظة بأن جميع السلالة المذكورة هم من رجال الدين الذين يتوارثون السلك الديني منذ آلاف السنين. فيكونون سلسلة متّصلة ويحفظون التعاليم من الجد للأب للابن وهكذا. وبالنسبة لهذه السلسلة من رجال الدين المندويّة فاكون أنا آخرهم.

* "لقد قمت بنسخ هذه التعاليم أنا المسكينُ الفقير المُضطَهَد والعبدُ الذي كلّه خطايا وصَغير أخوتي الترميدي والكنزبري وأقبّل التُّراب الذي تحت أرجُلهم أنا "الربي يهيا بهرام بر ربي آدم بر ربي يهيا آدم بر ربي شيتل بر ربي رام بر ربي يهيا بر ربي زكي بر ربي سام بر ربي زهرون بر ربي رام بر ربي يهيا بر ربي آدم لقب مندوي وكنيانة إكوما".

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, نُسخت من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس.

(Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4)

* "لقد قمت بنسخ هذه التعاليم أنا المسكينُ الفقير المُضطَهَد والعبدُ الذي كُلّه خطايا وصَغير أخوتي الكنزبري وأقبّل التُّراب الذي تحت أرجُلهم .. أنا "الربي بهرام بر ربي شاير بر ربي يهيا سام بر ربي سام بهرام بر ربي يهيا بهرام بر ربي يهيا بهرام بر ربي آدم بر ربي يهيا آدم بر ربي شيتل بر ربي رام بر ربي زكي بر ربي يهيا بر ربي زكي بر ابوهن اد كنزبري ربي مهتم بر ربي سام لقب مندوي وكنيانة إكوما."

من كتاب التراتيل المندائيّة للشيخ جادر الشيخ صحن المندوي. منسوخة يدويًّا من مخطوطات أقدم عام 1883 . النسخة الأصلية محفوظة في مكتبة باريس.

(Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 23)

وفي بدايات القرن التاسع عشر كان الشيخ الكنزبرا صكر الشيخ بهرام المندوي قد تزعّم طائفة الصابئة. وولد ابنه داموك في بدايات القرن التاسع عشر أو قبل ذلك ببضع سنوات ثم ولد أبنه الآخر صحن في عام 1805 وتم تكريسهما كرجال دين مندائيين من قبل والدهما في عشرينيات القرن التاسع عشر. وتوفي الشيخ صكر في منتصف القرن التاسع عشر ثمّ تزعّم رئاسة طائفة الصابئة أبنه الشيخ داموك وبعد ٥ سنوات توفي أيضًا. ومن ثمّ تزعّم الطائفة أخوه الشيخ صحن ولغاية وفاته عام 1896, وكانَ الشيخ صحن وأولاده الشيوخ جادر ونادر وثامر وبِكرَه جابر الذي لم يكن شيخًا في مدينة سوق الشيوخ, بينما كان الشيوخ أبناء أخيه الشيخ داموك في مدينة العِمارة. وكانت لهم مكانة مُتميزة في المُحيط الذي عاشوا به. وقد عُرف عن الشيخ صحن

قوة شخصيته وقيادته وكان له مضيف كبير يحضره المندائيون والمسلمون لما كان يقوم به من مساعدة كبيرة لكل من المسلمين والمندائيين. وكانت علاقته طيبة مع مُعظم شيوخ العشائر بسبب مواقفه الطيبة معهم وترحاله المستمر لمراعاة مصالح المندائيين في مناطقهم.

قضيّة اعتقال رئيس الصابئة الشيخ صحن وأبنائه.

تعد قضيّة اعتقال الشيخ صَحَن من القضايا المهمّة لكل من البريطانيين والعثمانيين ولهذا فهي موجودة في كل من الأرشيف البريطاني والعثماني. وبالنسبة للبريطانيين فكانوا يسعون لاحتلال العراق متذرّعين بوجود الحرب الدينيّة الإسلاميّة ضد المسيحيين ولهذا فكانوا يطلقون على المندائيين تسمية مسيحيّة وهي أتباع (أو مسيحيي) القديس يوحنا؛ بينما كان الشيخ صَحَن المتّهم بالمشاركة في ثورة العشائر العربيّة ضد العثمانيين يمثّل حالة من الوحدة الوطنيّة العراقيّة للمسلمين والصابئة ضد المحتل العثماني. وهو ما ينفي وجود الحرب الدينيّة ، وإنما هي حرب بين أبناء بلاد الرافدين جميعًا ضد المحتل العثماني. وهذا الطرح لم يكن في صالح القوّة الاستعماريّة البريطانيّة. ومن جانب آخر فأن البريطانيين الذين كانوا يرفعون شعار المسيحيّة في ذلك الوقت, كانوا يسعون جاهدين للتخلّص من الفلسفة المندائيّة, ولأن المندائيين يمتلكون جذورا تاريخيّة تعود إلى ما قبل المسيحيّة وبنفس الوقت يمثّلون رواية متناقضة مع الرواية المسيحيّة العالميّة.

وأمّا بالنسبة للعثمانيين فمنذ احتلالهم لبلاد الرافدين وجميع الأقليات الدينيّة كانت تعاني الاضطهاد من قبلهم. ولكن ذلك الاضطهاد لم يكن يرقى لحد القضاء على وجود تلك الأقليّات. ولكن عمليات التطهير الديني للأقليّات الدينيّة كان قد بدأ في عام 1893 أو قبل ذلك التاريخ بقليل. ويبدو أن قرارًا سريًّا كان قد تمّ اتخاذه من قبل أعلى قيادة في الدولة العثمانيّة بإنهاء وجود الأديان الأخرى بكل الوسائل. فتزامن اعتقال الشيخ صحن وأبنائه الشيوخ في عام (1895) مع الهجوم على اليزيديين (1893) وعلى المسيحيين ومنهم الأرمن في عام (1893-1896). وهو ما يفهم منه بأنها كانت محاولة للقضاء على الأقليّات الدينيّة أو تحويلهم للإسلام بالقوّة. وذلك لأن حروبهم كانت تحمل صبغة دينيّة طائفيّة ولم يكونوا يثقون بوجود أديان أخرى ضمن الدولة العثمانية. وحجّتهم ضد الأقليات الدينيّة بأنهم أعوان للدول الغربيّة.

واليزيديون كانوا قد رفعوا السلاح بوجه الدولة العثمانيّة محتمين بجبل سنجار الى أن أجبروا الوالي العثماني على التراجع عن هدفه بتحويلهم للإسلام. وكذلك قام المسيحيون في شمال العراق والمسيحيون الأرمن برفع السلاح وتنظيم أنفسهم بميليشيات للدفاع عن أنفسهم. وأمّا المندائيون فهم من الأقوام المسالمة فيتم تحريم القتل في الفلسفة المندائيّة ولأي سبب كان. يضاف إلى ذلك أعدادهم القليلة التي لا تمكّنهم من الحرب وبكونهم لا يمتلكون عقيدة القتال. ومن ذلك فلم يكن العثمانيون يحتاجون إلى قتل المندائيين بصورة مباشرة كما حصل مع اليزيديين والمسيحيين؛ وإنما كان يكفي أن يقضوا على رئاسة الصابئة المتمثّلة بسلالة

الشيوخ الناصورائيين الذين يحكمون الصابئة. فقاموا باعتقال رئيس الصابئة الشيخ صحن وأبناءه الشيوخ الآخرين.

ونجد مجموعة من الوثائق البريطانيّة المتعلّقة بالقضيّة هي كما يلي:

* كُتب تقرير بريطاني مؤرخ في (28 كانون أول 1895) بأن رئيس الصابئة الشيخ صحن قد تم القبض عليه في مدينة المدينة وتم نقله إلى البصرة. وبأن الشيخ قد تم اعتقاله لشبهة مشاركته في الثورة العربية ضد الحكومة العثمانية في المدينة وأن الصابئة سُمح لهم بجلب الطعام إلى الشيخ.

ملاحظة: رجال الدين المندائيون لا يأكلون الطعام إلا إذا تم تحضيره بطقوس خاصة وأن تكون الصلوات قد قرأت على المكونات أثناء وضعها تحت الماء. وهم يشربون فقط من ماء النهر الذي يشترط جلبه بآنية خاصّة.

(Güner, 2013: ”FO 602/39, pp. 42-43", P 21)

وتعود قضيّة اعتقال الشيخ صَحَن إلى الثورة العراقيّة التي قام بها الشيخ حَسَن الخيّون شيخ قبيلة بني أسد ضد الحكم العثماني في مدينة المدينة على نهر الفرات شمال القرنة. وقد كُتبت مذكّرة بريطانيّة في آب 1895 بهذا الخصوص. أي قبل توقيف الشيخ صَحَن بحوالي ثلاثة أشهر وذكرت بأن القوات العثمانيّة قد شنّت حملة ضد الشيخ حسن الخيون. علمًا بأن ثورة حسن الخيون كانت قد بدأت منذ (1889). وقد كانت التهمة الموجّهة ضد الشيخ صَحَن بأنه قد زوّد مدافع وبنادق الشيخ حسن الخيون بالرصاص والذخيرة.

ملاحظة: الشيخ صَحَن كان من الميسورين ويمتلك المحلات التي يؤجّرها وربما كان فيها محلات للحدادة.

(Güner, 2013: ”FO 602/39, pp. 43-44", P 21)

* ويشير تقرير بريطاني آخر مؤرخ في 21 كانون الثاني 1896 الى أن الشيخ صحن قد نفى تلك الاتهامات.

(Güner, 2013: ”FO 602/39, pp. 45-46", P 21)

وتوجد وثيقتان من القنصل الثاني في المحمّرة إلى القنصل في خوزستان بتاريخ (18-19 آذار 1896), واحدة باسم الشيخ جادر الشيخ صحن والأخرى باسم أعيان الصابئة وكانت موجّهة نحو الملكة فيكتوريا في لندن للمساعدة بهذه القضيّة.

* وفي تقرير بريطاني مؤرخ في (4 نيسان 1896) كان الكولونيل نيكسون قد كتب للقنصليّة البريطانيّة في بوشهر من الخليج العربي وأرفق الالتماسات إلى الملك فيكتوريا من الشيخ صَحَن وأعيان الصابئة. وكان مقتنعًا بأن احتجاز الشيخ صَحَن في البصرة يدعم الادعاء بأن السلطات التركية كانت تقمع الصابئة.

(Güner, 2013: ”FO 602/39, pp. 47-49", P 22)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

* وقد كانت الالتماسات المقدّمة للملكة الانكليزيّة من الصابئة تشير إلى اضطهادهم الديني من قبل العثمانيين . فكتب الشيخ جادر الشيخ صحن ".. نحن كهنة الصابئة على دين يحيى بن زكريا ونعيش في القرنة على ضفاف نهر الفرات في نهر صالح.. نحن لسنا على دين العثمانيين ، وهم لا يسمحون لنا بأداء واجباتنا الدينيّة ويسيئون معاملتنا. وأنّ والدي الشيخ صَحَن قد تمّ اعتقاله رغم عدم وجود أي دليل ضده."

(Güner, 2013: ”FO 602/39, pp. 49-50", P 22)

* وفي رسالة أخرى مؤرخة في (18 آذار 1896) وتحمل أختام وجهاء وأعيان الصابئة تذكر بأن الصابئة في العراق وبعض أجزاء إيران يواجهون مشاكل خطيرة وأن دينهم قد تمّ إضعافه. ويطلبون مساعدة الملكة لإطلاق سراح شيخهم والحفاظ على دينهم.

(Güner, 2013: ”FO 602/39, pp. 52-55", P 22)

وفيما يلي نَص الالتماس المقدّم للملكة فيكتوريا:

حضرة ملكة إنكلترا المعظّمة صاحبة الجبروت وقيصر الهند نصرها الله

نحن المدوّنة أسماؤنا في أدناه, نحن من أعيان جماعة يوحنا المعمدان المواطنين في العراق العثماني وبعض نواحي إيران. لقد أصابتنا مصيبة كبيرة وتدمير لشريعتنا وديانتنا, وذلك بسبب حبس حكومة البصرة المحليّة لشيخنا الروحاني ورئيس شريعتنا الشيخ صحن وأولاده. وذلك من دون ذنب حقيقي وإنما هو زور وبهتان, فقالوا عنه بأنه كان مشتركًا مع قبائل العرب الذين حصلت لهم صدامات مع جنود الدولة العثمانية على نهر الفرات قبل بضعة أشهر. ولكنه من المسلّم به أن رجل الدين المذكور هو فقيه وعالم ديني ولا يتدخّل بهكذا أمور, وهو لا يرافق هكذا أشخاص. ولكن المشكلة هي أننا لسنا من دينهم, ولهذا فهم لا يستمعون لشكوانا ولا يحترمون شريعتنا الدينيّة القديمة ويضطهدوننا. وأنّ الأديان جميعها تحت رعاية الدول وخاصّة دولة المملكة الإنكليزية ، ولهذا عرضنا مشكلتنا لكم وتقدمنا بشكوانا هذه , عسى أن تساعدوننا وتنقذوننا من هذه المصيبة والظلم وحبس رئيس ديننا ظلمًا, من دون إثبات أو دليل عليه وهو رئيسنا الشرعي الشيخ صَحَن وأولاده. طالبين المساعدة قبل أن تنقرض شريعتنا وينتهي ديننا. وكلنا أمل بأنكم سوف تساعدوننا في رد هذا الجور والظلم. والأمر متروك لكم.

مع التقدير سنة 1312 هجرية (1895 ميلادية)

الموقعون

أسد بن سكر, معتوق بن عبد الأمير, عادل ابن ملا عبد الله, مالك ابن عبود, زهرون ابن شيخ مران, شيخ مسلم ابن شيخ يحيى, ملا عبود غماس, ملا حطاب ابن عزيز, وادي ابن فرج, فياض ابن مران, فارس ابن جبر, همال ابن سعيد, ذاكر ابن دجر, طنيش ابن صالح, جالس ابن جابر, عاشور ابن فرج, راشد ابن شمخي,

كالوس ابن مهران, مدهوش ابن شنان, محوش ابن سوير, علوان ابن نعيمة, كزار ابن حداد, رمح ابن مسلم, ضمد ابن فهد.

نسخة الوثيقة مع المرفقات(2)

* وفي تقرير بريطاني آخر مؤرخ في (23 آذار 1896) يَذكر بأن وجهاء ومسؤولي الصابئة قد جاؤوا إلى القنصليّة البريطانيّة واتهموا السلطات التركيّة بالتحيّز ضد الشيخ صحن ، وبأنهم لم يجروا تحقيقًا سليمًا في القضيّة. ولكن القنصل البريطاني لم يقتنع بالقضيّة ، وتُركت لكي تتم إدانة الشيخ صحن من قبل العثمانيين لاحقًا. كما يذكر التقرير وجود تحذير عثماني ضد البريطانيين من التدخّل بقضيّة الشيخ صَحَن ؛ لأنهم مواطنون عثمانيون.

(Güner, 2013: ”FO 602/39, pp. 46-47", P 21)

ومن تلك الوثائق والمراسلات نفهم بأن قضيّة الشيخ صَحَن كان لها طابع سياسي لدى كل من العثمانيين والإنكليز. فحيث قام الحاكم العثماني بجعل الشيخ صحن وأبنائه ضمن أعداء الدولة العثمانيّة المُباشرين فكال لهم التُّهم جزافا. وكذلك استغل الإنكليز هذا الموضوع للترويج داخليًّا وخارجيًّا على أنهم قادمون لتحرير هذه الشعوب, ولكنهم بالوقت نفسه كانوا مُشاركين بجريمة القضاء على الصابئة وعلى سلالة الشيخ صَحَن الذي كان بالضد من سياساتهم التبشيريّة. وكما نقرأ بأنه على الرغم من كون جميع السياسيين البريطانيين في العراق كانوا يدِينون الظُّلم العثماني ضد الصابئة بقوّة وبصورة علنيّة, ولكن القنصل البريطاني في حالة الشيخ صَحَن فهو كان يتغاضى عن جريمة الحاكم العثماني وبأنه لم يكن مقتنعًا ببراءة الشيخ. ولكن أهل بلاد الرافدين الأبرياء والصادقين لم يكونوا يعرفون هذا النوع من الكَذب الذي تمارسه السياسة الغربيّة عبر الابتسام للضحيّة قبل إهلاكها, وربما لم يكن لهم خيار بمواجهة الظلم العثماني وحكمه الفاسد سوى تقديم الشكوى لهم.

لقد كانت معظم المراسلات البريطانيّة تُحاول إبراز الظُّلم الذي يُكيله الحُكم العثماني الذي يصفونه بالإسلامي وتستّره على المجرمين الذين يظلمون الصابئة, ومحاولة جعلها تبدو كحرب بين المسلمين والطوائف المسيحيّة. ولكن في حالة الشيخ صَحَن فهو كان بعلاقات متميّزة مع العشائر العربيّة المُسلمة ، وهذا الموضوع لم يكن يَصب في صالح أجنداتهم بتصوير وجود العداء بين المسلمين والطوائف المسيحيّة في العراق وسائر الدول التي احتلوها, ولأن جميع الحروب الغربيّة الاستعماريّة عبر التاريخ هي ذات طابع ديني وهي الحروب المستمرّة منذ ألفي عام. وكذلك فأن ثورة العشائر العراقيّة لو كانت قد نجحت وطردت

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

العثمانيين, فلم يكن قد تبقى من سبب للإنكليز لكي يحتلوا العراق, ولهذا فالمُرجّح بأنهم قد عملوا بالضد من تلك الثورات الوطنيّة.

وقد تكشّفت حقيقة تلك النوايا البريطانيّة تجاه العراق في بداية حربهم مع العثمانيين لاحتلال العراق. فكانت هناك اتصالات قام بها الإنكليز مع السيد طالب النقيب الذي كان أقوى شخصيّة في البصرة, فكانوا يريدون منه أن يقف إلى جانبهم في الحرب على العثمانيين ويقدم لهم المساعدات لاحتلال البصرة مقابل تنصيبه حاكمًا عامًّا عليها وإعطائه الامتيازات هو وعائلته ولكنه رفض ورد عليهم بالتالي: "أن البلاد العربيّة ترغب في التخلص من نير الاستعمار التركي لكي تعيش مستقلة لا لتبتلي باستعمار جديد, ولذلك فأنه يتعهد بإعلان الثورة على الأتراك مستعينًا بالضباط والجنود العرب وبالعشائر العراقيّة دون تدخّل الجيش الإنكليزي. وليس على الإنكليز إلا أن يمدوه بالسلاح والمال والطيارات والفنيين فقط. وإذا تم إخراج الأتراك من البلاد تؤسس فيها دولة مستقلة دستورية تحت حماية الإنكليز" ولكن الإنكليز الساعين لاستعمار العراق رفضوا عرضه وأصرّوا على أن يكون الجيش الإنكليزي هو الذي يقود الحرب في سبيل بسط الاحتلال العسكري على العراق. فما كان من السيد طالب إلا أن يرد عليهم برفض مساعدتهم. وترك البصرة بعد ذلك مخافة من العثمانيين الذين كانوا ينوون قتله بعد إحساسهم بالاتصالات بينه وبين الإنكليز.

(الوردي, ج4, 1971: 109)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

إنّ امتناع البريطانيين عن مساعدة الصابئة, قد أعطى الضوء الأخضر للعثمانيين بالسير في خطتهم بالقضاء على الصابئة عبر استهدافهم لرئيس الصابئة الشيخ صحن وأبنائه. فقام العثمانيون بقتل جابر ابن الشيخ صَحَن بعد أسبوعين فقط من احتجازه في السجن بسبب التعذيب, بينما استطاع أبناؤه الشيوخ الثلاثة الآخرين الهروب. اثنان منهم هربا مباشرة إلى الأهواز والثالث هرب من سجن العثمانيين بعد أن ساعده بعض الصابئة برشوة حراس السجن ثم هرب إلى الأهواز أيضًا. وقامت السلطة العُثمانية بالاستيلاء على جميع مُمتلكات وأراضي الشيخ صحن والذي كان قد توفّي في السجن بعد ثلاثة أشهر فقط من احتجازه ، أي في حوالي شهر (آذار أو نيسان 1896). وبالتأكيد هنالك شبهة قتل تحوم حول الموضوع بسبب وحشيّة العثمانيين المعروفة وقتلهم لابن الشيخ لذات الموضوع. ولكن بنفس الوقت فأن الشيخ صحن الذي كان قد تجاوز عمره التسعين كان لا يشرب الماء ولا يأكل الطعام إلا بمحددات دينيّة أهمّها أن يكون قد جلب الماء من النهر وطبخ المواد بنفسه ، وذكر عليها الصلوات أثناء طمسها في الماء الجاري. وهذا لم يكن ليتحقق في السجن وخاصّة في زمن العثمانيين. وتذكر الروايات المندائيّة بأن ابنة الشيخ صَحَن مكيّة التي تكون زوجة ابن أخيه الشيخ عيدان الذي كان قد قُتل قبل سجن الشيخ صحن بأربعة سنين. بأنها كانت تجلب الماء من النهر مع بعض الطعام لأبيها المسجون كل يوم وكانت تسير مسافات طويلة في سبيل ذلك.

وبعد وفاة الشيخ صحن بأكثر من سنتين ومخافة من الضغوط الدوليّة واتهام العثمانيين بإبادة الصابئة كما فعلوا مع الأرمن واليزيديين. أرسل الوالي العثماني لجنة من إسطنبول لتقصي للحقائق عن قضيّة الشيخ صحن وأبنائه. وكتبت اللّجنة تقريرها النهائي في (13 آيار 1898) وفيه تمّ ذكر أن الصابئة كانوا يصرّون على براءة الشيخ صحن ويطالبون بإنهاء احتجازه. بينما أصدر العثمانيون الحكم بالإدانة عليه بتهمة إعطاء الدعم لثورة حسن الخيّون عبر تزويدهم بالمدافع والرصاص.

(Güner, 2013: 23)

أسباب امتناع البريطانيين عن مساعدة الصابئة بقضيّة الشيخ صَحَنْ

إنّ قضيّة اعتقال الشيخ صَحَن بتهمة مساعدة العشائر العراقيّة المسلمة في ثورتهم ضد العثمانيين الذين كانوا يرفعون شعار الخلافة الإسلاميّة؛ لم تكن في صالح الأجندات السياسيّة البريطانية الساعية إلى احتلال العراق. بحجة مساعدة الأقليات المسيحيّة ضد الاضطهاد الإسلامي وهو الذي كان يعطيهم الزخم الشعبي في البلدان الغربيّة المسيحيّة. فكانوا يحتاجون للتذرّع بالظلم الذي وقع على الطوائف المسيحيّة لكي يستثيروا القوى السياسيّة الغربيّة التي كانت تتحكّم بها الكنيسية. فقاموا بتسمية المندائيين بأنهم أتباع (أو مسيحيو) يحيى الصابغ وهي ترجمة ليوحنا المعمدان الاسم المسيحي ليهيا يهانا كما يسميه المندائيّون أو يحيى بن زكريا كما يسميه المسلمون.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ولكن قضيّة الشيخ صحن المتّهم بالمشاركة في الثورة الشعبيّة العراقيّة ضد العثمانيين كان يبيّن بأن الصابئة كانوا يقفون إلى جانب إخوانهم المسلمين العراقيين لهدف تحرير العراق. ولهذا فكان البريطانيون قد امتنعوا عن الاستجابة للمناشدات الصابئيّة وامتنعوا عن تقديم أيّة مساعدة لهم في هذه القضيّة. وتوجد رسالة من وزارة الخارجيّة البريطانيّة في لندن مرسلة إلى العثمانيين في القسطنطينيّة ومؤرّخة في (11 تموز 1896) تؤكد لهم بأن القنصليّة البريطانيّة في البصرة لم يكن لها أي دور في قضيّة الشيخ صَحَن.

(Güner, 2013: ”FO 602/39, s. 65", P 23)

ويُبيّن التقرير الذي أعدّه البريطانيون عن ملف الصابئة بأنهم كانوا متحفّظين عن مساعدتهم ورفع الاضطهاد عنهم. ولو أرادوا لكان باستطاعتهم ذلك عبر إعطائهم الحماية كما فعلوا مع المسيحيين في سالونيك وبيروت وإزمير عندما أعطوهم جوازات سفر بريطانيّة تعطيهم الحصانة.

(Güner, 2013: 23)

وفضلا عن السبب السياسي السابق كان لدى البريطانيين أسباب أخرى معادية للدين المندائي. إذ إنّ وجود الدين المندائي المُرتبط بصورة وثيقة مع ديانات بلاد الرافدين القديمة, كان يُنظر له على أنه يمكن أن يؤثر في الرواية المسيحيّة الرسميّة وتبعيتها للفلسفة اليهوديّة. وهو يتعارض مع التعاليم الدينيّة التي كانت

تسير عليها الدول الغربيّة ومنها بريطانيا, إذ إن المسيحيّة كانت هي الرابط السياسي لتلك الدول, ولهذا فهم لم يكونوا ليقبلوا ببقاء أي تهديد فلسفي لها. وفي الوقت نفسه كان فيه الإنكليز يحفرون للعثمانيين فخًا بحجة اضطهادهم للأقليات الدينيّة, ولكنهم كانوا يتسابقون مع الفرنسيين لتنصير المندائيين عبر المُبشرين الغربيين الذين كانوا نشيطين في تلك الحقبة ويستخدمون الأساليب الناعمة مثل الأموال والوعود بالحماية من بطش العثمانيين. فكانوا يريدون تنصير جميع المندائيين.

وبسبب مقاومة رئاسة الصابئة في ذلك الوقت لمحاولات تنصير المندائيين كان للمبشرين البريطانيين حقد ديني خاص موجّه ضد عائلة الشيخ صحن والتي كانت رئاسة الصابئة محصورة بها. ولأن رجال الدين لتلك العائلة كانوا يحاربون خططهم وسياستهم الناعمة لتحويل المندائيين عن دينهم. إذ إن البريطانيين كانوا قد سعوا منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى تحويل المندائيين إلى الدين المسيحي. فكانوا يدفعون الأموال لبعض الوكلاء المندائيين لكي يقوموا بعملية تحويل المندائيين تدريجيّا إلى المسيحيّة. فقاموا بافتتاح المدارس المسيحيّة الموجّهة لتحويل المندائيين, وإغراء ضِعاف الإيمان منهم بالأموال وبإعطائهم الملاذ الآمن إن هم تحولوا عن دينهم. وكانوا يرسلون الأموال إلى أحد الشيوخ المندائيين لهذا الغرض. فكان أول أعمال ذلك الشيخ هو رفع الصليب المسيحي فوق معبد الصابئة بدل علم الدرابشا المندائي (الدرفش). ولهذا ثارت ثائرة الشيخ صَحَن وأخيه الشيخ داموك الذي كان يتزعّم الصابئة في ذلك الوقت وحاولت جماهير من المندائيين النيل من ذلك الشيخ؛ ولكن الشيخ صَحَن وأخاه نجحا في إبعاد ذلك الشيخ عن المجتمع المندائي واسكنوه في أهوار الجبايش ليكون بأمان هناك. ونجد صدى لتلك القصّة في إحدى المقالات القديمة.

(الناشي, 1965). المقالة مع المرفقات (3)

وكذلك توجد أطراف من القصّة في كتاب تاريخ العراق الحديث. فيروي المؤرخ الدكتور عبد العزيز: "بأن طائفة الصابئة كانت مجالًا للتنافس الإنكليزي الفرنسي وخاصة عند مجيء بعثة جسني "Chesney". وأخذت المجهودات السياسية البريطانية منذ ذلك الوقت تسعى إلى كسب الصابئة إلى جانبي بريطانيا..

وفي منتصف القرن التاسع عشر وفي النصف الثاني منه ظهرت شخصيّة يحيى شيخ الصابئة الميال تمامًا إلى الأوربيين بصفة عامة والإنكليز بصفة خاصّة فذهب إلى الهند وبعد عودته أكثر من الاتصال برجال الدين والمبشرين الكاثوليك والأنجليكان. وأدى ذلك إلى حدوث تصدّع بين رجال الدين الصابئي. إذ عاب عليه عدد من الشيوخ وعلى رأسهم داموك وداود تلك الاتصالات (يقصد صحن ولكنه يذكر اسم داود بالخطأ). وكان من الطبيعي أن يستند داموك وزميله (أخوه) إلى الحكام العثمانيين الذين كانوا يعملون في ذلك الوقت على وضع حد للنفوذ البريطاني المتزايد بين الطوائف. رد يحيى على ذلك بأن خفض رسوم التعميد والزواج وغيرها من الرسوم الدينيّة لكي يكسب الشعب إلى جانبه. أما داموك وزميله فحضا مراد أفندي

قائمقام كوت العمارة على نفيه. وفعلًا نفاه إلى سوق الشيوخ أوائل (1867) ومع أن وائل باشا والي بغداد عفا عنه إلا أن مركزه كان قد ضعف أمام خصميه. وبرغم هذه المجهودات السياسيّة والتبشيريّة وخاصة تلك التي قام بها قساوسة الموصل والرهبان البروتستانت خلال القرن التاسع عشر فإنهم لم يتركوا أثرًا محسوسًا في العقائد الصابئية وظل الصابئون متمسكين بمذهبهم إلى وقتنا هذا".

(نوار, 1968: 318-319)

وهذه القصّة المختصرة التي نقلها الدكتور عبد العزيز هي من كتابة الجنرال البريطاني جسني؛ ولهذا فكان قد تطرّق إلى الاتصالات التي كان يجريها الشيخ يحيى مع المبشرين المسيحيين؛ ولكنه لم يذكر الإجراءات التي كان يقوم بها والتي على أساسها كانوا يرسلون له الأموال. فكانت جهوده تشمل محاولات تحويل المعابد المندائيّة إلى كنائس مسيحيّة تدريجيًّا عبر إزالة العلَم المندائي الدرابشا ووضع الصليب المسيحي بدلًا عنه.

ونجد في الأرشيف البريطاني للمراسلات القنصليّة في أكثر من مكان بأن ملكة بريطانيا كانت ترسل الأموال إلى الشيخ يحيى.

* وثيقة مؤرخّة بتاريخ (27 آيار 1873) وهي مكتوبة من اللورد جرانفيل السفير البريطاني في إسطنبول إلى القنصل البريطاني في البصرة العقيد هربرت بأن جلالة الملكة أرسلت 100 جنيه إلى الشيخ يحيى كعلامة تعاطف مع مجتمع الصابئة في محنته. وتقول الباحثة بأننا لا نعرف سبب هذا الإخطار والدفع المتواضع.

(Güner, 2013: ”FO 602/39, s. 5", P 14)

* وثيقة مؤرّخة في (5 أيلول 1878) كتبت من القنصلية البريطانية في بغداد إلى نائب القنصل في البصرة ينصحه فيها بحماية الشيخ يحيى.

(Güner, 2013: ”FO 602/39, s. 6", P 14)

* وضمن الأرشيف الحكومي العثماني نجد أحدى الوثائق المرسلة من البصرة إلى الباب العالي في إسطنبول وهي مكتوبة باللغة العثمانية وكانت تتهم الشيخ يحيى الصابئي بالخيانة ، وتقول بأنه تحت الحماية البريطانية. وبكون الوثيقة مكتوبة بالعثمانية ومرسلة بصورة مباشرة للباب العالي فذلك ربما يعني بانها كانت تمثّل رأي جهاز أمني عالٍ ؛ ولأن الوثائق التي ترسل من الناس ومراكز الشرطة كانت تكتب بالعربية.

(Güner, 2013: ”FO 602/39, s. 7", P 14)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

* وتذكر إحدى الوثائق بأن الشيخ يحيى كان قد تواصل مع الملكة وأن الملكة قد أرسلت أموالًا إلى الشيخ يحيى خلال المجاعة في عام (1877-1878). وكان سبب المجاعة بأن العثمانيين قاموا بتجنيد الفلاحين ومنعوهم من الحصاد لتغذية السوق المحليّة خلال الحرب الروسية العثمانية.

(Güner, 2013: "FO 602/39, pp. 40-41", P 20)

* وثائق بتوقيع اللورد إيرل جرانفيل السفير البريطاني في إسطنبول تُظهر بأن الملك البريطاني كان قد ضمّ بعض الصابئة تحت حمايته نتيجة لمناشدة الشيخ يحيى, وبأنه قدّم في مناسبتين مساعدة مالية لهم في أوقات المجاعة.

(Güner, 2013: "FO 602/39, pp. 48-49", P 22)

ومما سبق يتبين بأن البريطانيين كانوا يستطيعون المساعدة بقضية الشيخ صَحَن ومن دون حاجة لإعطائه جواز سفر بريطاني. وذلك لوجود تفاهم بين العثمانيين والبريطانيين في ذلك الوقت وبأن بعض الصابئة من أتباع الشيخ يحيى كانوا يعطونهم الحماية والحصانة فلا يتعرّض لهم العثمانيون.

وعلى الرغم من ميول الشيخ يحيى نحو المبشرين والإنكليز كما تذكر المصادر؛ ولكنه كان يرسل الشكوى لهم ويوثّق حالات الاضطهاد التي كان يتعرّض لها الصابئة من قبل العثمانيين وكان يحاول المساعدة بها.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وأمّا المندائيون الذين كان يتم تحويلهم للمسيحيّة فكان يتم استغلالهم لتلفيق قصص تطعن بالدين المندائي. وكان نيكولا سيوفي (Nicolas Siouffi) نائب القنصل الفرنسي في الموصل والذي يعود إلى أصول سوريّة مسيحيّة نشطًا جدًّا في استمالة هؤلاء ومحاولة جعلهم مصدرا للمعلومات عن الصابئة. ولكن معظم الباحثين رفضوا كتاباته ومنهم دراور فكتبت عنه "أنّ سيوفي لم ير طقسًا (مندائيًّا) واحدًا بأم عينيه, بالرغم من أن مساهمته تعتبر أعظم ما عرف عن هذه الطائفة خارج محيط كتبهم (في وقته). لقد كان معتمدًا بصورة تامة على بيانات النابذين من الصابئة؛ ولذا ظل هذان الكاتبان في القشر ولم ينفذا عميقًا في روح هذه الطائفة أو يصلا إلى جوهر تعاليمها".

(دراور, 1969: 21-22)

الأسباب الداخليّة والصراع على رئاسة الصابئة المندائيين

لقد كانت هنالك أسباب داخلية متمثّلة بالصراع على رئاسة الصابئة وكانت لها تأثيرات على قضية الشيخ صَحَن. ولهذا يتوجّب ذكرها أيضًا. فبسبب تحفّظ الصابئة على نشر مشاكلهم الداخلية للعلن كان يجري التعتيم عليها, إلا ما كان قد خرج بصورة خاطئة أو لأغراض تشهيريّة فيستلزم الأمر تصحيحه.

إذ إنّ أعتقال العثمانيين للشيخ صحن بتهمة مساعدة ثورة الشيخ حسن الخيون قد ترتب عليه أن يلفّقوا له تهمة أخرى معها. وهي اتهام رجل الدين الناصورائي الذي تجاوز التسعين بقتل ابن أخيه الشيخ عيدان الشيخ داموك والذي كان بالوقت نفسه زوج ابنته وابنه الروحي ؛ ولأنه كان قد كرّسه بوصفه رجل دين مندائي بنفسه. وأنّ حادثة قتل الشيخ عيدان كانت قد جرت عام (1891) أي قبل توقيف الشيخ صحن بأربعة سنوات. وهذه التهمة حاولوا إلصاقها بالشيخ صَحَن لكي تكون هنالك جريمة جنائيّة فضلا عن الجريمة السياسيّة المتمثّلة بمساعدة ثورة العشائر.

وطبعًا فأن القتل يُعد في المندائيّة من أكبر المحرّمات. وأن رجل الدين الذي يريد أن يذبح ديكًا لغرض الطعام فأنه يحتاج لإجراء طقوس كثيرة وصلوات واستغفار, وأن يكون هنالك شاهد آخر من السلك الديني يشهد على صحّة تلك الطقوس وبأن قتل الطائر كان من أجل الطعام. فكيف برجل دين شيخ طاعن في السن ويحمل أعلى مرتبة دينيّة في وقته ويتّهمونه بقتل أبن أخيه؟

لقد حَكَمَ الشيخ صحن مُدَة طويلة رئيسا للصابئة منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى نهايته, وكان يَعتمد على أولاده في سوق الشيوخ وأولاد أخيه في العِمارة وعلى شيوخ آخرين في مناطق أخرى لغرض الطقوس الدينية. وكانَ هوَ الذي كَرّسَ أولاد شقيقه الراحل الشيخ داموك وهما كُل من الشيخ عيدان والشيخ جودة. إذ كان رئيس الطائفة ورئيس رجال الدين. وكانَ الشيخ صَحَن قد زوَّجَ ابنتيه إلى ابني أخيه الشيخ داموك وهما الشيخ جودة والشيخ عيدانْ الذي كان قد رُزِقَ بولد وهو الشيخ داخل الذي أصبح رئيسًا للطائفة في بداية ومنتصف القرن العشرين. ولكون الطقوس الدينية تحتاج إلى مُشاركة أكبر عدد ممكن من الشيوخ فهم كانوا يتزوجون فقط من عوائلهم الناصورائيّة ولكي تصبح ذريتهم صالحة لدخول السلك الديني. وقد كانت العلاقة والمُصاهرة قويّة وحميمة بين عوائل الشيخ صحن وأخيه الشيخ داموك وعدم انقطاعها أبدًا قبل وبعد تلك الحادثة الأليمة بمقتل الشيخ عيدان. فقام الشَيخ داخل الشيخ عيدان بتكريس الشيخ آدم والشيخ عبد أحفاد الشيخ صَحَن دينيّا, وكانوا يقومون بالطقوس سويةً. وكذلك قام الشيخ الجليل بتزوّيج أبنتيه إلى ولدي الشيخ عَبد حفيد الشيخ صَحَنْ, وتوجد عشرات الأدلّة التي توثّق الزواجات بين أبناء وبنات العم من العائلتين حصرًا بسبب نقاء النَسَب الذي هو أساسي بالنسبة للسلك الديني المندائي, وفيما يلي البعض من تلك الأنساب.

* مكيّة الشيخ صحن زوجها الشيخ عيدان الشيخ داموك.

* جابر الشيخ صحن زوجته كرطاسه الشيخ داموك أخت الشيخ عيدان. "تزوجوا قبل مقتل الشيخ عيدان"

* الشيخ جادِر الشيخ صَحَن زوجته وضحه الشيخ داموك أخت الشيخ عيدان. "تزوجوا قبل مقتل الشيخ عيدان"

* الشيخ نـادر الشيخ صَـحَن زوجتـه فركاسـة الشيخ داموك أخـت الشيخ عيـدان. "تزوجـوا قبـل مقتـل الشيخ عيدان"

* صبريه الشيخ صـحن زوجهـا الشيخ جوده الشيخ داموك شقيق الشيخ عيدان. "تزوجوا قبل مقتل الشيخ عيدان"

* نعمان الشيخ عبد الشيخ جادر زوجته حياة الشيخ دَخيل الشيخ عيدان. "تزوجوا بعد مقتل الشيخ عيدان"

* جبار الشيخ عبد الشيخ جادر زوجته وهيبه الشيخ دَخيل الشيخ عيدان. "تزوجوا بعد مقتل الشيخ عيدان"

إنّ مدينة العمارة الحاليّة كانت قد تأسست عام (1860) ومن أوائل المستوطنين كانت عشيرة المندويّة. وحيث كانت العشيرة موزّعة على نواحي العمارة والقرنة وقلعة صالح والجبايش وسوق الشيوخ. ولكن في تأسيس مدينة العمارة تحوّل كثير منهم من مدنهم في سوق الشيوخ والجبايش إلى العمارة. وكان رئيس الطائفة في وقتها الشيخ صحن الشيخ صَكر, وهو كان القائم على توزيع الأراضي الجديدة للعوائل بحسب تخويل الاحتلال العثماني لشيوخ العشائر بالتصرّف بالأراضي التابعة لعشائرهم.

وفي القرون الأخيرة كان المندائيون قد تعرّضوا للإبادة في مدن بلاد الرافدين التي أصبحت تابعة لإيران. ونتيجة لذلك فقد نَزَحَ المندائيون من مدنهم هناك نحو العراق. وأن المندائيين كانوا سابقًا من عشائر وأصول مُختلفة ولكن يجمعهم دين واحد, ولم يكونوا عشيرة واحدة ولا أقارب ولا عوائل من نفس الأصل. ولكنهم اختلطوا الآن بسبب المصاهرة القويّة واقتصار الحصول على شريك من داخل المجتمع المندائي الصغير.

إنّ حال الصابئة الذين كانوا يعيشون في الأهواز وشوشتر ودزفول تحت حكم الفرس, لم يكن أفضل من حال الصابئة الذين يعيشون تحت الاحتلال العثماني في مدن جنوب العراق. وهذا ما نجده في كتابات الباحث والمستشرق هنري لايارد أوستن. فقد ذكر في كتابه عن معاناة صابئة الأهواز ونقل عنهم رسالة إلى ملكة بريطانيا يطلبون فيها أن تشملهم برعايتها لتخليصهم من العذاب والاضطهاد الذي كانوا يقاسونه. وبالوقت نفسه يروي لايارد بأن الصابئة لم تكن لهم مشاكل مع العشائر العربيّة المسلمة هناك, ولكن المشكلة كانت مع الفرس الذين كانوا يضطهدونهم.

وبعد ذلك يستشهد لايارد بالوكيل السياسي لشركة الهند الشرقية الذي كان مسؤولًا عن مناطق العراق والأهواز وهو العقيد تايلور, وكان يجيد اللّغة المندائيّة وأعطاه رسالة يطلب فيها مساعدة الصابئة ونصّها كما يلي: "سيدي العزيز اعتقد انه سيكون من قبيل الإحسان بلا شك أن نسعى لتخفيف معاناة الصابئة التعساء. وهم كما اعتقد من بقايا أقدم شعب كلداني. أنهم مجتهدون وأخلاقيون ومتواضعون وهادئون ومع ذلك رغم شخصيتهم الإيجابية فهم بسبب ضعف قبيلتهم أكثر عرضة للطغيان من غيرهم من غير أتباع الدين السائد في

البلاد. يجب أن نكون الوسيلة لإنقاذهم من الظلم ووضعهم في موقف يمكنهم من التمتع بأمان بإيمانهم والنتائج الصادقة لجهدهم."

(Layard, 1887: 170-171)

وقد ازداد الاضطهاد على الصابئة في المدن التي أصبحت ضمن إيران في القرن التاسع عشر لدرجة دفعتهم إلى الهروب بأرواحهم نحو أهلهم من صابئة العراق وخاصّة في مدينة العمارة ونواحيها. ولهذا فكان كثير منهم يدخل على العشيرة المندويّة, لكونها العشيرة صاحبة الأرض. فينضم لها ويتآخى معهم. ولكي يحظى بتقدير المجتمع من ناحية حصوله على عمل أو التقدم للزواج وخاصّة إذا كان من سلالة دينيّة, ولأن السلالات الدينيّة (الحلاليّة) كانت تتزوّج فقط من السلالات الدينيّة الأخرى. وأن العشيرة والانتماء لها كانت تمثّل قوّة لجميع الأفراد. كما أن العشيرة المندويّة عبر تاريخها اقتصرت على المدن الرافدينيّة التي أصبحت ضمن العراق. بينما نجد أن أغلب العشائر المندائيّة الأخرى لها جذور وتواجد في المدن التي احتلتها إيران وبالوقت نفسه لهم امتدادات في مدن العراق, ولهذا نجد أن عشائرهم موجودة ضمن العشائر العراقيّة أيضًا. وهذا طبعًا لأن كل تلك المدن كانت تتبع تاريخيًّا لبلاد الرافدين.

ولكن بعد أن ازدادت هجرة المندائيين من المدن التي احتلتها إيران إلى مدن جنوب العراق, أصبح المهاجرون الجدد يسعون للسيطرة على رئاسة الصابئة ولأنهم أصبحوا الأغلبية ولديهم الموارد. وبالوقت نفسه كانت هنالك بعض العوائل المندائيّة التي اختلطت وتزوجت من الأديان الأخرى؛ فأصبحت بحكم الخارجة على الدين المندائي ولا تجوز لها الطقوس الدينيّة مما جعلها بعداء مع رئاسة الصابئة المتمثّلة بعائلة الشيخ صَحَن . وهذه العوامل الداخلية كانت قد ترافقت مع زمن قتل الشيخ عيدان ابن أخ الشيخ صَحَن.

و اختصارا لتلك القصص عن النزوح لمدينة العمارة من المدن التي احتلتها إيران, نذهب إلى هوامش أحد كتب الكنزا ربا والذي كان قد نسخه الشيخ مُرّان الشيخ زهرون الصابوري عام (1880م), وفيه يروي قصته ونزوحه من الأهواز (الحويزة) إلى العمارة ؛ لأن حياته هناك كانت سيئة بسبب عدم تقديره من قبل مجتمعه هناك. وبعد ذلك يروي هجرته إلى مدينة العمارة وكان يبلغ الخامسة والسبعين من عمره, فيروي كيف أستقبله الشيخ صحن رئيس الصابئة في العراق والذي كان فقيهًا بتعاليم الدين المندائي وقام بمساعدته كما كان يساعد جميع الناس من صابئة ومسلمين وهو يصف مواقفه الطيبة.

وبعد ذلك يتطرق إلى موضوع الكوليرا التي أصابت مدن العراق الجنوبية التي كان يتركز بها الصابئة. ومن ثم يتحدث عن الشقاق الذي كان موجودًا داخل المجتمع المندائي ومحاولة أخذ زعامة الصابئة من الشيخ صحن حتى من قبل الأشخاص الذين كان الشيخ صحن يُحسن إليهم بسبب الطمع.

علمًا بأن الهوامش كان قد كتبها الشيخ مرّان باللغة المندائيّة وكذلك بالعراقيّة العاميّة, وذلك لأن الصابئة في ذلك الوقت مثل أغلبية الشعب العراقي كانوا يعانون من تفشي الجهل والأميّة بسبب محاربة العثمانيين للّغة العربيّة. ولهذا كان الشيوخ يعلّمون أنفسهم ومع ذلك فهم يتحدثون بالعاميّة العراقيّة وليس بالعربيّة الفصحى. وطبعًا هم يجيدون اللّغة المندائيّة التي يقرأون بها كتبهم الدينيّة. وفيما يلي مقتطفات من شهادة الشيخ مُرّان الصابوري على أحداث ذلك العصر.

صور النصوص الأصلية مع المرفقات (4).

(1)

* "وقد تم فراغ هاذي السيدره في يوم الحد سابع بشهر تالي الربيع بسنت الف ومايتين وسبعة وتسعين.

وياهل تجون من عقبنه انكان تنشدون عن حالنا قلبنا تعبان من المحنه والافكار واحنه اهل الحويزة عمامنه ونسبائنه نخدمهم خدمه مثل العبد والمعلاف ماطلع درب تخابثو وبانه وانا كنت اخدم الحكام بحلالي مايخذون بيه حكي لا قرشه ولا غيرها وفتكرت شفت مالها تالي وخفت تصير فتنه وتركت الحويزه وجيت للعماره وانا برجي خمسه وسبعين سنه ما بيه بعد شغل وضليت مدا والله سبحانه فرجلي واجا شيخ صحن من المجر وشاف حالي وانعم علي من الحلال والبس والطعام وانا قمت اسعي لنفسي كتبت من حلال شيخ صحن وانا من تعبي والله سبحانه يغفر ذنوبي وذنوب شيخ صحن من هل عمل الدنيا استغرينه بيها"

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

في هذا المقطع يتحدث الشيخ عن عدم تقدير جهوده في السلك الديني من قبل أقاربه والمندائيين الآخرين في مدينة الحويزة (الأهواز) ولهذا فقد تركهم وهاجر إلى مدينة العمارة. وهناك بقي مدة من دون نقود لأنه يبلغ من العمر 75 سنة ولا يستطيع العمل, حتى أتاه الشيخ صحن وساعده بما يكفيه مقابل تفرّغه للعبادة وكتابة النصوص الدينية. حيث كانت كتابة النصوص هي مصدر دخل الشيوخ في ذلك الزمان.

(2) "إن كان تنشدون عن شيخ صحن ابن شيخ صقر ابن شيخ بهرام المندوي، صاحب مضيف وان شاء الله ينطيه ويعلي مكانه، ما هو مخلي عايز لاعلى صبي ولا على مسلم، ويا اخوان هل تجون من عقبنه تفسير منداي ماتعرفون كتبنالكم عربي. ياخوان احنا شفنا شوف عيونه سنت الف ومايتين وسته وربعين سنة اجا موت كثير ماتو من الصبة والاسلام شين ضلوالموته بلطريج والكلاب تاكل بيها وندفن ومانلحق وضل اربع تشهر بل الما وفك ومومنينا ماتو بلموت اهم وعيالهم اهل البصرة واهل الحويزة واهل القرنه ما ضل منهم احد ضلو تواليد من المومنين لا يندلون ولا يقرون فرد واحد منهم ظل يخدم علا المومنيه من جهليته المن صار اربعين سنه عمر عندهم ونطا اخته الهم جابت اولاد وبنات اسمه عبد الله ابن شيخ بهرام ابن عبدي.."

وفي هذا المقطع كان الشيخ مرّان يقول بأن الشيخ صحن رئيس الصابئة كان لديه مضيف يستقبل به الناس من الصابئة ومن المسلمين وكان يساعد الجميع, وبأنه كتب هذه الهوامش باللغة العربيّة (بالإضافة للمندائيّة)

لأن كثير من الصابئة لا يجيدون اللّغة المندائيّة. وكذلك يتحدث عن أحداث وباء الطاعون الذي ضرب مدن جنوب العراق عام 1830 وكيف أن كثيرا من المندائيين والمسلمين توفوا بسبب الوباء, ويتحدث بأن السلك الديني المندائي قد فقد كثير من رجال الدين أيضًا.

علمًا بأن قصّة موت بعض الشيوخ المندائيين بالطاعون قد تمّ تحريفها من قبل المستشرقين لغرض القول بأن جميع رجال الدين كانوا قد توفوا وبأن سلالات رجال الدين انقطعت. بينما نعرف من هوامش كتاب كنزا ربا آخر بأن الذين توفوا من رجال الدين كانوا أربعة من الترميذي واثنين من الكنزبري فقط. (درجة الكنزبرا أعلى من الترميذا).

(3)

"وياخوان هل تجون من بعدنا عن شيخ صحن ابن شيخ صقر ابن شيخ بهرام بلعلم والوساعيه مامن احسن منه ولايجي غيره واحنا يادبعاداتنا حساده كيف الله راظي عليه وناطيه من تعب ايدا عند دكاكين طين وعندا سفن ويبذل من تعبهن وهل مومنيه ماجاعد يحوش منها شي وكل مهر جرشين والباجي لربعه واناس ماهم مخلينا يوخرون الزين ويجدمون الردية وهذا الدور هيك صار وتمت هاذي السيدره بسنت الخميس طالعها سنبلة وقد تمت من يد الحقير الفقير شيخ مران ابن شيخ زهرون ابن عزيز ابن خيري ابن عزيز ابن فرخ ابن نيروز ابن خيري ابن شيخ مهتم كنياني صابور"

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وفي هذا المقطع يتحدث الشيخ مرّان بأن الشيخ صحن كان عالمًا فقيها وكان متمكّنًا ماديًّا ولم يكن إجراء الطقوس الدينية مهمًّا له من الناحية الماديّة وكان يوزّع ما يأتيه منها ؛ ولأنه كان يمتلك المحلات التجاريّة والسفن. وبعد ذلك يقول بأن بعض المندائيين كانوا يعادونه ؛ لأنهم يكرهون الجيد ويقرّبون السيئ. ثم يوثق الشيخ نَسَبه وعشيرته وأصله كما تجري العادة في نَسخ الكتب الدينيّة.

(4)

"ومن عقب السنتين دارت لبيت شيخ بهرام المندوي شيخ صقر وولاده وضلت بيديهم خمسين سنه الله يرضا عليهم شيخ داموك وشيخ صحن اهل مضيف وزادن نفيس من كل خاطرهم وجهن يضحك يحبون ويرحبو صبه واسلام والناس حسدتهم والعين لعبت بيهم وياهم هبت مومنين وياكلون بهل نعمه وتخابثو معهم بعض يردون المومنيه لنفسهم واهو صاحب زين ماطلعت منه ببديه والله ناطيه وراضي عليه وسع الخاطر والله لا يعثرا والحكي كثير ماينكتب ودورنا حنا ماهو زين وكلمن يريدها لنفسه وهو ماعندا بديه ويبذل عليهم والله خالقهم بتبصربيهم"

ثم يتحدث الشيخ مُران في هذا المقطع عن كون رئاسة الصابئة كانت تعود إلى بيت الشيخ بهرام المندوي وهو يكون جد الشيخ صحن والشيخ داموك, ويصفهم بأنهم أصحاب مضيف أي مضيافون ومرحبون بالجميع

من الصابئة ومن المسلمين. وبعد ذلك يتحدّث بأن هنالك من الصابئة من كانوا يحسدونهم ومنهم بعض رجال الدين الصابئة من الذين كان الشيخ صحن يعتني بهم ويطعمهم ومع ذلك فكانوا يتعاملون بخبث معه ؛ لأنهم يريدون أن يستولوا على رئاسة الصابئة. ومع ذلك فهو لم يكن يرد عليهم ولم يحاول أن يتصرف أي تصرف سيئ معهم, وأن الله كان راضيًا عنه. وبعد ذلك هو يحيل هؤلاء الأشرار إلى الله الذي خلقهم وهو شاهد على تصرفاتهم.

لقد عُرف عن الشيخ صحن بأنه كان ذا شخصية قوية وكانت له مكانة عالية في محيطه من الصابئة والإسلام. وكان محبًّا للسلام والتآخي وهو كان صديق لمعظم العشائر المسلمة بكونه دائم الترحال للاطمئنان على حال المندائيين. حيث تُروى حادثة من زمنه بأن أحد أصدقائه من شيوخ العشائر المُسلمة قد أخبره بوجود نيّة لأفراد من عشيرة أخرى بأنهم سيأتون في يوم معين لينهبوا أملاك الشيخ صَحَنْ؛ ولكن الشيخ وبدلًا من أن يستعد لهم مع أهله وأتباعه بالسلاح والكمين كان قد جهّز وليمة كبيرة وجلس ينتظر هؤلاء السُراق الذين دُهشوا عندما وصولوا ووجدوهم منتظرين. فدعاهم للطعام وبعد ذلك أعطاهم من الحلال وأخذ عليهم العهد أن لا ينتهجوا السرقة ولا يكرروها بعد ذلك.

ومع ذلك فأن الشيخ صحن لم يكن يتساهل مع محاولات تحريف الدين والتعاليم المندائيّة وخاصّة لمن كانوا قد خرجوا على الدين المندائي واعتنقوا دينًا آخر أو تزوجوا مع الديانات الأخرى. حيث كان يرفض أجراء الطقوس الدينية لهم ولذريتهم بسبب وجود نصوص دينيّة تحرّم ذلك. وهنا بدأ العداء مع إحدى العوائل التي منع الشيخ صحن عنها الطقوس ومنع سائر الشيوخ من إجرائها لهم. ولكن تلك العائلة كانت متنفّذة في ذلك الوقت وتمتلك الإمكانيات الماديّة وكانت لها علاقة مع الحاكم العثماني والذي كان يعتاش على الرشوة كما هو مثبّت من المصادر السابقة. وتلك العائلة التي كانت تسكن سوق الشيوخ لم تكن تتقبل فكرة مَنع الطقوس عنهم لأنهُم سوف يُصبحون خارجين على الدين المندائي علنًا, ومِن ثُم بدأوا بمحاولة استقدام الشيخ عيدان من العِمارة لكي يُجري لهم الطقوس. والشيخ عيدان كما أسلفنا يكون ابن أخ الشيخ صحن وزوج ابنته التي اسمها مكيّة وكان الشيخ صحن هو الذي كرّسه ليكون رجل دين. فأرسلوا العديد من البرقيات يتوسلون إليه أن يحضُر اليهم لغرض إجراء الطقوس, وقد وُجدت ثلاثا منها في تأريخ (٣٠ آب ١٨٨٩) (البرقيّات ٣,٢,١) ولكن الشيخ عيدان رفَضَ أن يأتي إليهم وأخبرهُم بوجود عمّه هُناك ، ويقصد الشيخ صَحَنْ, وهو الذي يستطيع إجراء الطقوس لهُم, فأجابوه بأنهُم لا يُريدونَ عَمّه ويُريدونه أن يَحضر هوَ (البرقيّة رقم ٤) في ١٧ أيلول أي بعد حوالي أسبوعين من مُخاطبتهم الأولى.

* البرقية رقم ١ (4 محرم 1307 إلى 30 آب 1889)

عماره عيدان صبي

تعهد شهر قبول بحضنا ابختنا ابدينا ابرزقنا تجي سريع فهد

* البرقية رقم ٢

(4 محرم 1307 إلى 30 آب 1889)

عماره عيدان صبي

شهر قبول بحضنا ابختنا ابدينا باولادنا ابرزقنا تجي بالشنطه؟ عمامه عند سهر خطوط سواد

* البرقية رقم ٣

(4 محرم 1307 إلى 30 آب 1889)

عماره عيدان صبي

شهر قبول بحضنا ابختنا ابدينا ابرزقنا بواولادنا تجي سريع عندنا مهوره مبارك

ولكن الشيخ عيدان رفَضَ أن يحضر من العِمارة إلى الناصرية وعَرَفَ بقصةِ عَمّه مع تلك العائلة وعدم جواز الطقوس لهم, وكانت تَصله البرقيات الكثيرة مِنهم ولمدّة أشهر ويُريدونه أن يأتي وهو يرفض, وكان يقول بأنّ عَمّه الشيخ صحن موجود هناك ويستطيع القيام بالطقوس لهم فأجابوه بأنهم لا يقبلون عمّه (البرقيّات رقم ٤ - ٥) في (١٧ أيلول ١٨٨٩) لغاية (١٣ آذار ١٨٩٠ أو ١١ أيار).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

* البرقية رقم ٤

(22 محرم 1307 إلى 17 أيلول 1889)

عماره عيدان صبي

عمك ما نقبله بختك لا تعوفنا ديننا - عرفنا مبارك شهر

* البرقية رقم ٥

(22 رجب 1307 إلى 13 آذار 1890)

أو (22 رمضان 1307 إلى 11 آيار 1890)

عماره عيدان صبي

عمـــــــــــك مانقبلــــــــــه بختـــــــــك لاتعوفنـــــــــا ديننـــــــــا - عرفنـــــــــا

سواد ازويد

ولغرض جلب الشيخ عيدان بالإكراه, فقاموا بأسر إخوانه وأحدهم الشيخ جودة وجعلوه يرسل برقية استغاثة إلى أخيه الشيخ عيدانْ لكي يفتديهم بالمال. وهي البرقية المؤرخة في (١٤ أيلول ١٨٩٠) (برقيّة رقم ٦)

* البرقيـــــــــــــــــــــــــــة رقـــــــــــــــــــــــــــم ٦

(30 محـــــــــــــــــرم 1308 إلـــــــــــــــــى 14 أيلـــــــــــــــــول 1890)

عمـــــــــــــــــاره عيـــــــــــــــــدان صـــــــــــــــــبي

الطارش وصل حسن اذكرنا محبوسين عنده لا تشتكي لا عند فهد ولا غيره شروط الفدية انطيها التريده عليها

جودة

ولكن المال لم يكُن هو الدافع لهؤلاء؛ فرفضوا أي شيء غير قدوم الشيخ عيدانْ بنفسه وبعد عدّة أشهر وافق الشيخ عيدان بأن يأتي لهم بنفسه وأن يفتدي إخوانه الأسرى وأرسلوا له مكان اللقاء (برقيّة رقم ٧)

* البرقيـــــــــــــــــــــــــــة رقـــــــــــــــــــــــــــم ٧

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

(جمـــــــــــــادي ثـــــــــــــان 1308 إلـــــــــــــى 7 شـــــــــــــباط 1891)

عمـــــــــــــــــاره محـــــــــــــــــي صـــــــــــــــــبي

خبر عيدان احنا جايين مضبطه وديناه للوالى اذا طب البصره يعرفنا تيل عجل مبارك

وحَضَرَ الشيخ عيدان من العِمارة فقاموا بأسره مع إخوانه ووضعوه في مزرعة معزولة ومسيّجة ويحميهم الحاكم العثماني. وفي أول صباح لعيد الخليقة المندائي البرونايا كان الشيخ عيدان يتوضأ على ضفة الجدول الذي يمر بمزرعتهم تلك فأتت طلقة غادرة من الخلف وأصابته في مقتل.

وبعد أن توفي الشيخ المغدور أبقوا الأسرى في التعذيب ليساوموا ذويهم بالكتمان؛ ولكي لا تثور العشائر المندائية ضدّهم (برقية رقم ٨) وإلا فسوف يقتلونهم ويُلصقون التُهمة بأعداء غادرين. فسكتَ الشيوخُ المُسالمون الذين يُقتَلون ولا يقتِلون ويُظلَمون ولا يظلِمون, ولَم يكن هنالك مَن يستطيع مُساعدتهم ومُجابهة سُلطة الوالي العُثماني الفاسدة والمُرتَشية التي كانت تحميهم.

* البرقيـــــــــــــــــــــــــــة رقـــــــــــــــــــــــــــم ٨

(9 شـــــــــــــعبان 1308 إلـــــــــــــــــى 19آذار1891)

وصـل السـاعي منـي اخوتـك احـبهم مـاتو غـدر لاتسـوى تجـي انفكهـم امـا تهلـك وراهـم تجـي عرفنـا مبارك.

وفي ذلك الزمن كان القتلة يجوبون الشوارع محتمين بالحكم العثماني الفاسد. وكان كثير من الناس يذهبون ضحايا لأسباب بسيطة ولا توجد حكومة تكترث لأخذ العدالة للمغدورين. وبالنسبة لقضية مقتل الشيخ عيدان فلم يتم الكشف عن الجاني في تلك القضية ولم تُجر تحقيقات عنها في زمن وقوعها في عام (1891). ولكن العثمانيين بعدها بأكثر من أربعة سنوات قاموا بوضعها ضمن لائحة الاتهام للشيخ صحن بعد اعتقاله بتهمة مشاركة ثورة العشائر ضدهم في نهاية (1895).

إنّ دافع القتل لتلك العائلة التي كانت موجودة في ذلك الزمان, بسبب عدم إجراء الطقوس الدينيّة لها هو كبير ولا يُمكن إنكاره. وهو مَنع الطقوس الدينيّة عنهم أو بمعنى إخراجهم عن الدين المندائي. فكانوا يتوسّلون للشيخ عيدان أن يأتي إليهم لغرض الطقوس وكان هو يرفض ذلك بحسب البرقيات. ولأنهم في البداية كانوا يتذرّعون بالطقوس لجلب الشيخ عيدان وأسره؛ ولكن الشيخ الناصورائي كان قد عَرف خطتهم فلم يأت لهم. ولغاية أن بدأوا بتهديده بقتل إخوانه الأسرى لديهم (برقيّة ٦). ومن البرقيات نَعرِف بأن الشيخ عيدان لم تكن لديه أيّة مشاكل مع عمّه ووالد زوجته الشيخ صحن بدليل البرقيّات (رقم ٤ و ٥) والتي يقول لهم فيها بأن يذهبوا لعمّه لغرض الطقوس. ولكن المشاكل بدأت بين الشيخ صحن معَ تلك العائلة عند توقفه عن إجراء الطقوس ومنعه سائر الشيوخ أيضًا وهذا حسب تواريخ الوثائق.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

التشهير بقضيّة الشيخ صَحَنْ

إنّ البرقيات والوثائق المتعلّقة بموضوع مقتل الشيخ عيدان والتي نستشهد ببعضها, هي ملك لرئيس الصابئة الأسبق الشيخ داخل ولا تزال نسخها الأصليّة محفوظة لدى عائلة الشيخ الذي يكون ابن الشيخ المغدور عيدان وابن مكيّة ابنة الشيخ صَحَن.

صور النسخ الأصليّة مع المرفقات (5)

وأنّ الشيخ داخل في حياته هو الذي حافظ على عدم نشرها طوال عشرات السنين؛ لأنه بوصفه رجل دين مندائي يحرّم عليه الثأر. ولكونه رئيسًا للصابئة فكان يسعى لزيادة التكاتف بين المندائيين. ولكن كانت هنالك حملات للتشهير بعائلتي الشيخ صحن والشيخ عيدان ؛ وذلك لأنهم كانوا يعيدون قصص منقولة عن الذين كان لهم عداء مع عائلة الشيخ صحن بسبب تسجيله لمخالفات دينيّة عليهم مثل خروج بعضهم عن الدين أو تعاون بعضهم مع المبشرين. فكانت النميمة وسيلتهم للتشهير وخاصّة بعد وفاة رئيس الصابئة الشيخ داخل في عام (1964). ثمّ أستغلّ تلك القصّة أحد الباحثين المندائيين المهاجرين ويعمل في جامعة أميركية. وقام بتحريفها

لكي يطعن بها الدين المندائي عبر الطعن بمجتمع رجال الدين. وهو يستند في معظم جوانب قصته إلى روايات شفويّة مصدرا لبحثه.

(Abdullah, 2018: 396-425)

والباحث هو الدكتور ثابت ويكون أحد أبناء العالم المندائي وثاني رئيس لجامعة بغداد الدكتور عبد الجبار شيخ عبد الله شيخ سام شيخ شبوط.

وحيث إنّ الأمانة العلميّة تتطلّب أن يكون الباحث مُحايدًا عند بحثه في أي موضوع أو أن ينوّه على الأقل إذا ما كانت له علاقة شخصيّة بموضوع البحث الذي يقوم به, وذلك التزامًا بمبادئ وأخلاق البحث العلمي. وعلى سبيل المثال فأن رئيس الصابئة السابق الشيخ صحن والذي أبين قضيته في هذا البحث يكون جدي الرابع المُباشر. ولكن للأسف فلم يُفصح الدكتور ثابت عن علاقته بهذه القضيّة, التي بحث بها ولم يتطرّق لكون الشيخ صحن نفسه يكون من أعمامه ضمن نفس العائلة المندويّة التي ينتمي هو لها. وأنه حفيد مباشر للشيخ سام ابن أخت الشيخ صَحَنْ, والذي ذكره في جانبه من القصّة على أنه ربما كان بخلاف مع خاله الشيخ صَحَنْ. ومن جانب آخر فأن أنسباء الدكتور ثابت يكونون من أحفاد الشيوخ المندائيين الذين كانوا يتنافسون على رئاسة الصابئة مع عائلة الشيخ صحن -وهو يضع حفيدهم الشيخ مصدرًا أيضًا لمعلومات بحثه. وحيث أنّ الدكتور ثابت الذي كان قد تربّى في أميركا وكندا منذ صغره, قد تمّت أدلجته بأفكار معادية للدين المندائي ولرجال الدين وبضمنهم أجداده الشيوخ من عائلة أبيه, يضاف لها قصص النميمة المتوارثة التي سمعها عن قضية الشيخ صَحَنْ.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

إنّ الشيخ صكر والد الشيخ صحن هو الذي كان قد كرّس نسيبه الشيخ شبوط الجد الرابع للدكتور ثابت وأدخله للسلك الديني المندائي. وأمّا الشيخ سام جد الدكتور ثابت فكانت علاقته جيدة جدًّا مع خاله الشيخ صحن وتوجد توثيقات عن صداقتهم وعلاقتهم ولكونهم أبناء عم أيضًا. وما كانت الإشاعة بوجود العداء بين الشيخ صحن وابن أخته الشيخ سام والتي وصلت للدكتور ثابت وجعلته يتبنى موقفًا معاديًا من الشيخ صَحَن, إلا من أقاويل النميمة التي كانت موجودة قبل أكثر من قرن ضمن العداء مع تلك العائلة التي لم يجر الشيخ صحن لها الطقوس ، وكذلك من قصص العداء بسبب الصراع على رئاسة الصابئة. وللأسف فلم يكتف الدكتور ثابت بتبني رواية العثمانيين بكل التهم التي وجّهوها للشيخ صحن ومنها حادثة مقتل أبن أخيه الشيخ عيدان؛ وإنما كان يحرّف حتى ما تقوله وثائق الأرشيف البريطاني وينتقي ما يناسبه فقط. وكان يختلق من نفسه جوانب للقصّة ويرفق أسماء لمندائيين من كبار السن على أنه مصدر لتلك المعلومات. ولكن عند تواصلنا مع جميع هؤلاء كانوا ينكرون تلك الأحداث والحبكة التي كتبها الدكتور ثابت ونَسَبَها لهم. والتي كانت أقرب لسيناريو فيلم منها كتوثيق لمسألة تاريخيّة. وأنّ الذي يُفهم من بحثه بأنه يُحابي المبشّرين ويرفع من شأن الإنكليز وإن

كان بصورة ماكرة وليس صريحة؛ في حين كان يطعن بأصله ودينه بتصويره لعشائر المجتمع العراقي وثوراتهم ضد المحتل العثماني وكأنهم مجموعة من قطاع الطرق يأكل القوي فيهم الضعيف وهذه هي الرواية العثمانية التي تبناها في بحثه. وبالوقت نفسه فهو كان يطعن بالدين المندائيين عبر الطعن برجال الدين جميعهم ومنهم أجداده؛ فصوّرهم أناسا جشعين يغنمون الذهب مقابل الطقوس الدينيّة ويقتل أحدهم الآخر من أجل المال. وصوّر رئيس الصابئة الشيخ صحن بأنه بنى ثروته من الطقوس الدينيّة بمساعدة صديقه الشيخ حسن خيون الأسدي فيساعد أحدهما الآخر لمصالح شريرة. بينما هو كان قد ترك العراق وهو طفل لا يعرف شيئًا عن مجتمع رجال الدين ولا عن المجتمع المندائي الذي كان فقيرًا جدًّا في تلك الحقبة ولا يمتلك الأموال بالإضافة لقلة أعدادهم وتوزّعهم على المحافظات والمناطق المتباعدة. وكانت معظم الطقوس تُجرى بدون مقابل أو أنّ الصَدَقة القليلة التي كان يعطيها بعض الناس لرجال الدين في الطقوس كانت تُجمع منها نسبة وتوضع في صندوق عند رئيس الصابئة وتُعطى للطبقة الأضعف وللمحتاجين. هذا فضلًا عن كون عدد المندائيين الذين كانوا يجرون الطقوس قليلا جدًا بسبب عدم تواجدهم في مكان واحد وانشغالهم عن دينهم. وقد كان بحثه مكتوبًا بالإنكليزيّة وليس بالعربية على الرغم من أنه يستعرض شؤون داخليّة مندائيّة؛ ولأن البحث موجّه أساسًا للمجتمع والنخبة الغربيّة وليس للمجتمع المندائي أو العربي. وهكذا هي مراكز البحوث الغربيّة تصطاد العقول المهاجرة والعوائل المعروفة من الذين لديهم الاستعداد لكي يمجّدوا الاستعمار وعقيدته الدينيّة, ويذمّوا بأصلهم ودينهم عبر بحوث تاريخيّة محرّفة فتأخذ المصداقيّة لكونها مكتوبة من قِبل أبناء البلد والدين نفسه.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الخاتمة

شهد العراق، بعد سقوطه بيد المغول، سلسلة من التدخلات الخارجية التي غالبًا ما بدأت بغطاء الصداقة وإبداء المساعدة العسكرية، إذ كانت القوى في الدول المجاورة، ومنها الأقوام التركيّة، تتدخّل بناءً على طلب بعض الأمراء أو العائلات من أجل تعزيز مواقعهم في النزاع على السلطة أو خوفًا من عدو خارجي. لكن ما إن كانت تلك القوى العسكريّة تدخل وتوطّد نفوذها، حتى تتحول إلى احتلال مباشر، يتجسّد في إقصاء الحاكم الشرعي ليبقى سلطة شكلية بلا فاعلية حقيقية.

وغالبًا ما سعت السلطات المحتلة إلى تسويغ سيطرتها عبر ادعاء حماية العقيدة الدينية, كما فعل العثمانيون في العراق وذلك في محاولة لإضفاء طابع شرعي على وجودهم؛ غير أن سياساتهم الفعلية اتّسمت بالقمع الشديد وتدمير السلم المجتمعي والنهب الاقتصادي الممنهج بحق المجتمعات المحلية. ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل جعلت تلك السلطات من المجتمع العراقي مصدرًا للجنود الذين كانوا يُساقون لخوض حروب توسعيّة واستعمارية لا تخدم مصالحهم الوطنية، وقد جرى كل ذلك دون أي اكتراث حقيقي بحياتهم أو

مصائرهم، إذ كان المجنّدون العراقيون يُعاملون كأداة لتحقيق أهداف المحتل، بعيدًا عن أي اعتبارات إنسانية أو أخلاقية. كما توجّهت سياسة الاحتلال دومًا نحو إضعاف البنى الوطنية بتجهيل المجتمع ككل، ومحاربة الأفكار الوطنية، واضطهاد الأقليات الدينيّة والمجموعات الأخرى.

إنّ أبرز أدوات الاحتلال لتفكيك المجتمع العراقي كان اللعب على وتر النزاعات القبلية: إذ عملت السلطات المحتلة على إشعال الصراعات بين العشائر، بسياسات مثل إعادة توزيع الأراضي أو تحويل مجرى الأنهار لصالح العشائر الموالية، وفي الوقت ذاته كانت تدعم الزعامات العشائرية الموالية لها، وتستبدلها بسرعة من نفس عشائرها في حال تبدّل الولاء، لخلق صراعات داخلية دائمة تمنع أي مقاومة فعالة للاحتلال.

وقد عانى الصابئة المندائيون الذين هم أقدم الفئات الاجتماعية في وادي الرافدين، من أشد صنوف الاضطهاد على أيدي المحتلين الخارجيين، نظرًا لقلّة عددهم ولطابعهم المسالم الرافض للعنف. ويُعد القضاء على رئاسة الصابئة التي كانت متمثّلة بالشيخ صحن وأبنائه الشيوخ الآخرين في نهايات القرن التاسع عشر مثالًا واضحًا على تلك السياسات التمييزيّة التي تبناها المحتل العثماني، خاصة مع تصاعد قلقه من الاستغلال البريطاني المحتمل للطوائف الدينية تمهيدًا للطموحات الاستعمارية في صراعها على النفوذ والثروات العراقية.

واستنادًا إلى هذه التجارب التاريخية، تبرز الحاجة الملحة لأن تلتزم الدول، مهما بلغت علاقاتها من صداقة بالجوار، بعدم السماح بأي شكل من أشكال التدخل الخارجي في شؤونها الداخلية. ولو كانت هنالك مصلحة وطنيّة ملحّة لأخذ مساعدة عسكريّة للبلد فيجب أن تكون من الدول البعيدة جغرافيًّا, وليس الدول المجاورة التي سيكون خطر الهيمنة أو الاحتلال الكلي أو الجزئي كبيرًا منها.

كما يجب العمل على حماية السلام المجتمعي، لا سيما في الدول ذات البنية المتعددة طائفيًا وعرقيًا ودينيًّا. إذ لا تميز الأطراف الخارجية، وخصوصًا دول الجوار، بين مكونات الشعب عندما تحتل بلدًا ما، بل سوف تسعى لاستقطاب أية فئة تخدم مصالحها المباشرة، بصرف النظر عن الاختلاف في المعتقدات أو الخلفيات الاجتماعية. وأنّ معظم الاحتلالات التي حصلت للعراق من دول الجوار كانت تلعب على وتر الطائفيّة والعنصريّة الدينيّة.

وفي السياق ذاته، فإن موضوع الاحتلال العثماني للعراق واسع ومعقّد إلى حد لا يسمح بتناوله بشكل شامل ضمن هذا البحث المختصر. لذلك، يصبح الاعتماد على مصادر محايدة وموضوعية أمرًا ضروريًّا وحتميًّا عند دراسة هذه القضية، خاصة في ظل وجود بعض الدراسات التي تتبنى الرواية الرسمية للدولة العثمانية ومؤسساتها البحثية أو الجماعات التي تساندها. وما يبعث على القلق هو استعادة هذه المؤسسات نشاطها في محاولة لتقديم صورة إيجابية ووورديّة لحقبة الاحتلال العثماني، وهو ما قد يفسّر على أنه تمهيد

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

محتمل للعودة إلى أجواء تلك الحقبة التاريخية المؤلمة, مستغلةً بذلك الأوضاع السياسية الراهنة في المنطقة والتي تتسم بالتوتر وعدم الاستقرار، بسبب أطماع استعمارية متجددة، سواء من القوى الإقليمية المجاورة أو من الفاعلين الدوليين البعيدين.

قائمة المراجع

1. ابن الأثير، أبي الحسن(1987): الكامل في التاريخ، المجلّد الثامن. راجعه محمّد يوسف الدقاق. دار الكتب العلمية. بيروت.
2. التكريتي, ناجي (2012): رسائل إلى العراقي الأمين. الطبعة الأولى, مكتب الغفران للطباعة.
3. الجادر, سنان سامي (2024): اللُّغة المندائيّة العربيّة القديمة. لارك, 16(2 pt1). https://doi.org/10.31185/lark.3427
4. الدليمي, محمد فيحان(بدون تاريخ): محاضرات في النظام السياسي في العراق المعاصر، المحاضرة الأولى. الكيان العراقي ونشأة الدولة: معالم المجتمع السياسي في العراق اواخر العهد العثماني الجامعة المستنصريّة.
5. الكواكبي, عبد الرحمن (1931): أمُّ القُرى للسيد الفراتي. المطبعة المصرية بالأزهر.
6. السنجاري, علي (1998): منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم, تحقيق الدكتور جميل عبد الله محمد المصري. المملكة العربيّة السعوديّة. جامعة أم القرى مكّة المكرمة.
7. السويداني, حامد محمد طه (2020): موقف الاتراك من ثورة 1920في العراق دراسة تاريخية, مجلة لارك, جامعة واسط, المجلد 4, العدد 39.
8. الناشي, شريف جودة (2000): لمحات من تاريخ الصابئة المندائيين في أواخر عهد الاحتلال العثماني 1800-1917. مجلة آفاق مندائيّة العدد 14. بغداد.
9. الطّبري, أبو جعفر (بدون تاريخ): تاريخ الأمم والملوك, تاريخ الطبري, أعتنى به أبو صهيب الكرمي, مطبعة بيت الأفكار الدولية.
10. الطقطقي, محمّد بن عليّ بن طباطبا (1927): الفخرى في الآداب السلطانية والدّول الاسلامية. المطبعة الرحمانية بمصر.
11. العزاوي, عباس (2005): موسوعة عشائر العراق, الجزء الثالث أهل الأرياف. الدار العربية للموسوعات.
12. أمين, حسين(2006): تاريخ العراق في العصر السلجوقي, الجزء الأول. الطبعة الثانية. دار الشؤون الثقافية.بغداد.
13. الهمذاني, رشيد الدّين فضل الله(1960): جامع التواريخ, تاريخ المغول, المجلد الثاني – الجزء الأول. راجعه وقدّم له يحيى الخشاب. الجمهورية العربيّة المتحدة, وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
14. الوردي, علي (1971): لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث, الجزء الثالث.
15. الوردي, علي (1971): لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث, الجزء الرابع.
16. توماس, برترام (1986): مذكرات برترام توماس في العراق 1918-1920, ترجمة عبد الهادي فنجان, بغداد, مطبعة العاني.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

17. برنامج يوتيوب, قرن على موت90ألف جندي عثماني متجمدًا. تلفزيون سوريا, 2020. https://youtu.be/HT8cqyWEIik?si=PHyA0DHJToBP5cUT

18. برنامج قناة TRT عربي (٢٠٢٢): صاري قامش.. ملحمة كتبها الأتراك ضد الغزو الروسي رغم البرد القارس والثلوج. https://www.trtarabi.com/explainers/صاري-قامش-ملحمة-كتبها-الأتراك-ضد-الغزو-الروسي-رغم-البرد-القارس-والثلوج-7487302

19. ثامر, محمد عبد & الأرقط, عبد الحميد (2020): دور الأقليات الدينية في المجتمع العراقي خلال العهد العثماني (1517-1917). أطروحة دكتوراه. جامعة الشهيد حمّة لخضر, الوادي الجزائر.

20. دراور (1969): الصابئة المندائيون ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي. سوريا. دار المدى للثقافة والنشر.

21. كتاب الكنزا ربا المندائيّة, نُسخت من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

22. كتاب التراتيل المندائيّة للشيخ جادر الشيخ صحن المندوي. منسوخة يدويًا من مخطوطات أقدم عام 1883. النسخة الأصلية محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 23.

23. سباهي, عزيز (1996): أصول الصابئة المندائيين. سوريا. منشورات المدى.

24. عبد, نادية ياسين (2021): الموقف العراقي من إعلان الدولة العثمانية الجهاد في الحرب العالمية الأولى. مجلة كلية التربية, جامعة واسط, العدد الرابع والأربعون, الجزء الثاني. https://doi.org/10.31185/eduj.Vol2.Iss44.2354

25. كوتلوف, ل.ن. (1971): ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق, ترجمة عبد الواحد كرم. وزارة الإعلام. بغداد.

26. مراد, خليل علي (1975): العراق في العهد العثماني الثاني (1638-1750). الطبعة الأولى. دار الرافدين. بيروت, بغداد.

27. مطر، سليم (2008): الذات الجريحة، مركز دراسات الأمة العراقية, دار الكلمة الحرة.

28. مقالة: من هم السومريون؟ د.بهنام أبو الصوف. موقع العراق في التاريخ, 2010. https://www.iraqinhistory.com/د.-بهنام-ابو-الصوف/2017-03-20-19-25-41

29. نوار, عبد العزيز سليمان (1968): تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحَت باشا. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.

30. رودولف, كورت (1994): النشوء والخلق في النصوص المندائيّة, ترجمة صبيح مدلول السهيري. الطبعة الأولى. مطبعة جامعة بغداد.

31. مقالة (2022): استرداد الآثار العراقية.. واشنطن تسلم 5 قطع أثرية لبغداد. سكاي نيوز عربية. أبو ظبي. https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1495635

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

32. فيديو مغارة الطيب #ميسان_مدينة_الحب_والجمال صفحة وقناة احمد صالح نعمة. برنامج قناة العراقيّة. 2022. https://youtu.be/N9ksltTtEmw?si=XqkUj5V7Ykd1SjZ

33. Abdullah, Thabit A.J. (2018): The Mandaean Community and Ottoman-British Rivalry in Late 19th-Century Iraq: The Curious Case of Shaykh Ṣahan. Social History of the Orient, 61, pp. 396–425. Brill.

34. Al-Jader, S. (2024): Revealing the parallels between the Nag Hammadi hymn "The Thunder: Perfect Mind" and the Mandaean scriptures. Iraq. Lark Journal. https://doi.org/10.31185/lark.3567

35. Drower, E. S. (1937). The Mandaeans of Iraq and Iran: Their Cults, Customs, Magic, Legends, and Folklore. Oxford: Clarendon.

36. Güner, Selda (2013): Irak Sâbiîlerine Dair Bir Asayiş Dosyası (1873-1898), Hacettepe Üniversitesi.

37. Hunter, Erica (2000): Two Incantation bowels from Babylon. Published by: British Institute for the Study of Iraq. Vol. 62 (2000). https://doi.org/10.2307/4200485

38. Layard, Austen Henry. (1849). Nineveh and Its Remains Volume II. London.

39. Layard, Henry. (1887): Early Adventures in Persia, Susiana, and Babylonia. Vol 2. New yourk. Longmans, Green, and Co.

40. Martirosyan, Tigran (2023) Battle of Sarıkamış, University of Amsterdam. International Encyclopedia of the first world war. https://encyclopedia.1914-1918-online.net/article/sarkams-battle-of-1-1/

41. Müller-Kessler, Christa (1998): A Mandaic Gold Amulet in the British Museum. Bulletin of the American Schools of Oriental Research Volume 311.

42. Ottoman and German strategy WWI. MSW. 2020 https://warhistory.org/@msw/article/ottoman-and-german-strategy-wwi

43. Stein, Oliver: German Soldiers in the Ottoman Empire, 1914-1918. Introductory Text to the Exhibition of www.mwme.eu (2015), URL: http://www.mwme.eu/essays/index.html

44. The National Archives. FO 602/39. Correspondence concerning the Sabaens (followers of John the Baptist.1873-1898) https://discovery.nationalarchives.gov.uk/details/r/C2060266

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

45. Yamauchi, Edwin (2000): Mandaic Incantations: Lead Rolls and Magic Bowls. ARAM, 11-12 (1999-2000).

46. Yamauchi, Edwin M. (1983): Pre-Christian Gnosticism: A Survey of the Proposed Evidences. N.p.: Baker Book House.

Bibliography

1. Abdullah, Thabit A.J. (2018): The Mandaean Community and Ottoman-British Rivalry in Late 19th-Century Iraq: The Curious Case of Shaykh Ṣahan. Social History of the Orient, 61, pp. 396–425. Brill.

2. Abd, Nadia Yassin (2021): The Iraqi Position on the Ottoman Declaration of Jihad in the First World War. Journal of the College of Education, University of Wasit, Issue 44, Part Two. https://doi.org/10.31185/eduj.Vol2.Iss44.2354

3. Al-Azzawi, Abbas (2005): Encyclopedia of Iraqi Tribes, Volume Three, Rural People. Arab House for Encyclopedias.

4. Al-Dulaimi, Muhammad Faihan (n.d.): Lectures on the Political System in Contemporary Iraq, Lecture One. The Iraqi Entity and the Emergence of the State: Features of the Political Society in Iraq towards the End of the Ottoman Era. Al-Mustansiriya University.

5. Al-Hamdani, Rasheed al-Din Fadlallah (1960): The Compendium of Histories, History of the Mongols, Volume Two – Part One. Reviewed and introduced by Yahya al-Khashab. United Arab Republic, Ministry of Culture and National Guidance.

6. Al-Jader, S. (2024): Revealing the parallels between the Nag Hammadi hymn "The Thunder: Perfect Mind" and the Mandaean scriptures. Iraq. Lark Journal. https://doi.org/10.31185/lark.3567

7. Al-Jader, Sinan (2024): The Ancient Mandaic Arabic Language. Lark Journal, 16(2 pt1). https://doi.org/10.31185/lark.3427

8. Al-Kawakibi, Abdurrahman (1931): Umm al-Qura by Sayyid al-Farati. Al-Azhar Egyptian Press.

9. Al-Nashi, Sharif Jawda (2000): Glimpses from the History of the Mandaean Sabians in the Late Ottoman Occupation 1800-1917. Mandaean Horizons Magazine, Issue 14. Baghdad.

10. Al-Sanjari, Ali (1998): Mana’ih al-Karam in the News of Mecca, the Kaaba, and the Custodians of the Sanctuary, edited by Dr. Jamil Abdullah Muhammad al-Masri. Kingdom of Saudi Arabia. Umm al-Qura University, Mecca.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

11. Al-Suwaidani, Hamid Muhammad Taha (2020): The Turks' Position on the 1920 Revolution in Iraq, A Historical Study. Lark Journal, University of Wasit, Volume 4, Issue 39.

12. Al-Tabari, Abu Ja'far (n.d.): History of Nations and Kings, Tarikh al-Tabari. Prepared by Abu Suhaib al-Karmi. Bayt al-Afkar International Press.

13. Al-Taqtaqi, Muhammad bin Ali bin Tabataba (1927): Al-Fakhriya in the Sultanate and Islamic State Literatures. Al-Rahmaniya Press, Egypt.

14. Al-Tikriti, Naji (2012): Letters to the Faithful Iraqi. First edition, Al-Ghufran Publishing Office.

15. Al-Wardi, Ali (1971): Social Glimpses from the Modern History of Iraq, Part Four.

16. Al-Wardi, Ali (1971): Social Glimpses from the Modern History of Iraq, Part Three.

17. Amin, Hussein (2006): History of Iraq in the Seljuk Era, Volume One. Second Edition. Cultural Affairs House, Baghdad.

18. Article: Who are the Sumerians? Dr. Bahanam Abu Al-Suf. Iraq History Website, 2010. https://www.iraqinhistory.com/d.-bahanam-abu-al-suf/2017-03-20-19-25-41

19. Article (2022): Recovery of Iraqi Antiquities: Washington Hands Over 5 Artifacts to Baghdad. Sky News Arabia. Abu Dhabi. https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1495635

20. Drower, E. S. (1937): The Mandaeans of Iraq and Iran: Their Cults, Customs, Magic, Legends, and Folklore. Oxford: Clarendon.

21. Drower, E. S. (1969): The Mandaeans. Translated by Na'im Badawi and Ghazban al-Rumi. Syria. Al-Mada Publishing House.

22. Güner, Selda (2013): A Security File on the Iraqi Sabians (1873-1898), Hacettepe University.

23. Hunter, Erica (2000): Two Incantation Bowls from Babylon. Published by: British Institute for the Study of Iraq. Vol. 62 (2000). https://doi.org/10.2307/4200485

24. Ibn al-Athir, Abi al-Hasan (1987): Al-Kamil fi al-Tarikh, Volume Eight. Reviewed by Muhammad Yusuf al-Daqqaq. Dar al-Kutub al-Ilmiyya. Beirut.

25. Kotlof, L. N. (1971): The National Liberation Revolution of 1920 in Iraq, translated by Abdul Wahid Karam. Ministry of Information. Baghdad.

26. Layard, Austen Henry (1849): Nineveh and Its Remains Volume II. London.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

27. Layard, Henry (1887): Early Adventures in Persia, Susiana, and Babylonia. Vol 2. New York. Longmans, Green, and Co.

28. Martirosyan, Tigran (2023): Battle of Sarıkamış, University of Amsterdam. International Encyclopedia of the First World War.
https://encyclopedia.1914-1918-online.net/article/sarkams-battle-of-1-1/

29. Murad, Khalil Ali (1975): Iraq in the Second Ottoman Era (1638-1750). First Edition. Dar Al-Rafidain. Beirut, Baghdad.

30. Mutar, Salim (2008): The Wounded Self, Iraqi Nation Studies Center, Dar Al-Kalima Al-Hurra.

31. Müller-Kessler, Christa (1998): A Mandaic Gold Amulet in the British Museum. Bulletin of the American Schools of Oriental Research, Volume 311.

32. Nwar, Abdul Aziz Suleiman (1968): Modern History of Iraq from the End of Daud Pasha's Rule to the End of Madhat Pasha's Rule. Al-Kateb Al-Arabi Publishing House, Cairo.

33. Ottoman and German strategy WWI. MSW. 2020.
https://warhistory.org/@msw/article/ottoman-and-german-strategy-wwi

34. Rudolph, Kurt (1994): The Emergence and Creation in Mandaean Texts, translated by Sobih Madloul Al-Suhairi. First Edition. University of Baghdad Press.

35. Sabahi, Aziz (1996): Origins of the Mandaean Sabians. Syria. Al-Mada Publications.

36. Stein, Oliver: German Soldiers in the Ottoman Empire, 1914-1918. Introductory Text to the Exhibition of www.mwme.eu (2015), URL:
http://www.mwme.eu/essays/index.html

37. Thamer, Muhammad Abd & Al-Arqat, Abdul Hamid (2020): The Role of Religious Minorities in Iraqi Society during the Ottoman Era (1517-1917). PhD Thesis. Martyr Hamma Lakhdar University, El Oued, Algeria.

38. The Book of Kinza Rba of the Mandaeans, copied by Sheikh Yahya Bahram al-Mandawi Kanyana Ikuma in 1694. The original manuscript is preserved in the Paris Library. Source: gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

39. The Book of Mandaean Hymns by Sheikh Jader Sheikh Şahan al-Mandawi. Manuscript copied in 1883. The original copy preserved in the Paris Library. Source: gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 23

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

40. The National Archives. FO 602/39. Correspondence concerning the Sabaens (followers of John the Baptist, 1873-1898).
https://discovery.nationalarchives.gov.uk/details/r/C2060266

41. Thomas, Bertram (1986): Bertram Thomas's Memoirs in Iraq 1918-1920, Translated by Abdulhadi Fanjan. Baghdad, Al-Ani Press.

42. TRT Arabic Channel Program (2022): Sarikamish: An Epic Written by the Turks Against the Russian Invasion Despite the Severe Cold and Snow.
https://www.trtarabi.com/explainers/sarikamish-an-epic-written-by-the-turks-against-the-russian-invasion-despite-the-severe-cold-and-snow-7487302

43. Video of Tayeb Cave #Maysan_City_of_Love_and_Beauty, page and channel of Ahmed Saleh Ni'ma. Iraqi Channel Program. 2022.
https://youtu.be/N9ksltTtEmw?si=XqkUj5V7Ykd1SjZ

44. YouTube Channel, "A Century on the Death of 90,000 Ottoman Soldiers Frozen." Syrian TV, 2020.
https://youtu.be/HT8cqyWEIik?si=PHyA0DHJToBP5cUT

45. Yamauchi, Edwin (2000): Mandaic Incantations: Lead Rolls and Magic Bowls. ARAM, 11-12 (1999-2000).

46. Yamauchi, Edwin M. (1983): Pre-Christian Gnosticism: A Survey of the Proposed Evidences. N.p.: Baker Book House

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المرفقات

1.بعض هوامش الكتب المندائيّة تذكر الكنيانة المندائيّة إكوما 2. وثيقة إسترحام لملكة بريطانيا حول قضية الشيخ صَحَنْ

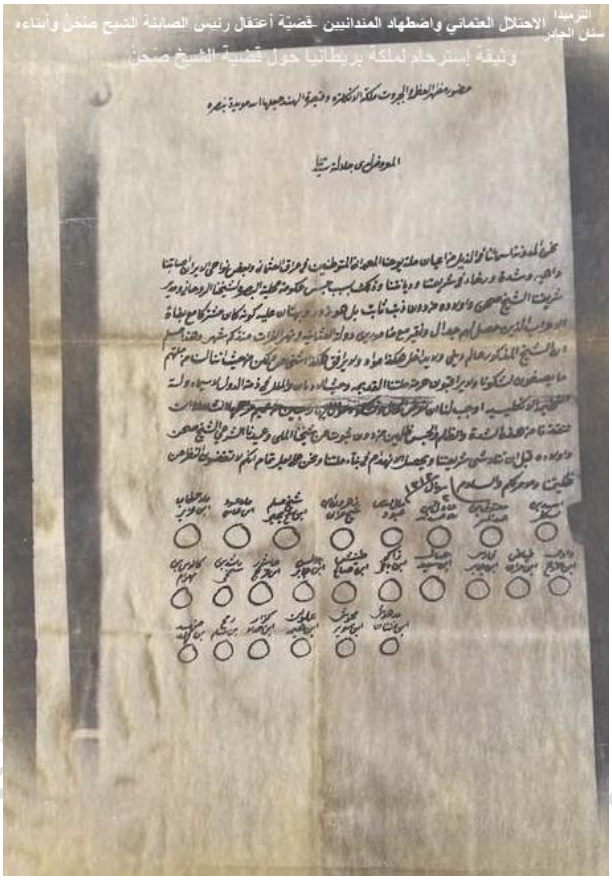

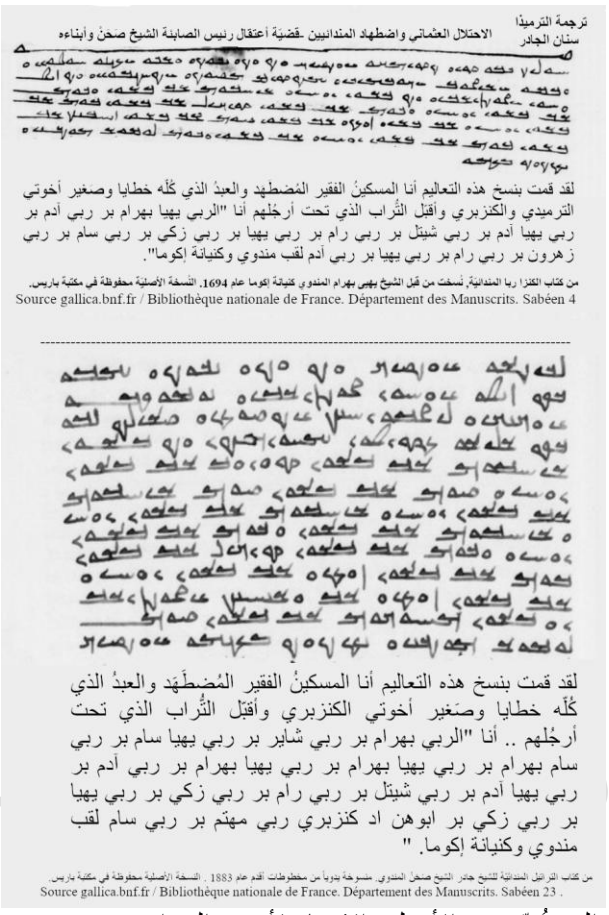

والتي تُعبّر عن الأصل والإنتماء لأرض السواد.

3. توثيق حول محاولات التبشير المسيحي الموجّه للمندائيين

الترميذا سنان الجادر الاحتلال العثماني واضطهاد المندائيين -قضيّة أعتقال رئيس الصابئة الشيخ صحن وأبناءه

آفاق مندائية - اجتماعيات

23

لمحات من تاريخ الصابئة المندائيين في اواخر عهد الاحتلال العثماني 1800 - 1917

عند دخول العالم في القرن التاسع عشر، قل عدد الصابئة المندائيين الى ادنى مستوى، وانحسروا في المناطق الجنوبية من العراق بين الاهوار والمستنقعات، وفي منطقة الاحواز في عربستان التابعة لايران، وهم الذين يتمسكون بمعتقداتهم وتقاليدهم الدينية العريقة . وكان لابد لهؤلاء من التعرض للضغوط الخارجية الاوربية التي تعرض لها الشرق العربي خلال القرن التاسع عشر . فقد اصبحت هذه الطائفة محط انظار كل من الانكليز والفرنسيين، وكانوا في صراع مرير سواء في اوربا او في بقية اجزاء العالم . فقد كان العراق بالنسبة للانكليز في القرن التاسع عشر، هو الطريق الاخر السريع الذي يمكن استخدامه للوصول من اوربا الى الهند، اذا ما اغلق طريق مصر في وجوههم، هذا فضلا عن ان فرنسا كانت تبذل كل جهدها في سبيل تقويض الامبراطورية البريطانية في كل مكان وبكل الاساليب، وكان طبيعيا ان يصبح التبشير اداة من ادوات الانكليز والفرنسيين، فاعتمد الفرنسيون على المبشرين الكاثوليك بينما اعتمد الانكليز على البروتستانت . وسعى كل من الطرفين الى فرض الحماية على الصابئة . والمعروف ان الانكليز كانوا دائما يحاولون استغلال الاقليات الطائفية في تنفيذ اغراضهم، ولذلك نجد الوكيل السياسي في بغداد سنة ١٨٣٢ – ١٨٤٢ وهو الكابتن روبرت تيلر معنيا كل العناية بامور الصابئة ، فعكف على دراسة كتبهم وتقاليدهم وجمع مخطوطات هامة ونادرة عن تاريخهم وعقائدهم، وكان متصلا بهم على نطاق واسع وشملهم بحمايته كان هذا النشاط من جانب تيلر من العوامل التي جعلت الفرنسيين يعملون على منافسة الانكليز في هذا الميدان، لذلك نجد ان القنصل الفرنسي فونتانييه يبسط حمايته على عدد من الصابئة، ولكن هذه المنافسة الفرنسية لم تدم طويلا . رغم تعرض الصابئة لنشاط المبشرين البروتستانت والكاثوليك، الا ان هؤلاء المبشرين لم يستطيعوا ان يكسبوا الا عددا ضئيلا جدا منهم، ومع ذلك فقد كان الصابئة موضع دراسات واسعة، قام بها عدد من السياسيين الانكليز، وعلى رأسهم :

١.فرانسس راودن كسني المشهور بقائد بعثة القوات التي ارسلت الى العراق لتحدد مدى صلاحية نهر الفرات للملاحة تمهيدا لوضع قطع حربية بريطانية لمقاومة التوسع المصري في اتجاه العراق في النصف الاول من القرن التاسع عشر .

٢.الرحالة السفير عضو مجلس النواب البريطاني هنري لايارد الذي قضى في العراق مدة طويلة في الاربعينات والخمسينات من القرن التاسع عشر، وركز جهوده في كسب ثقة الاقليات الدينية في العراق، وربطها بعجلة بريطانيا .

٣.و.ك.لوفتس كان احد اعضاء لجنة تحديد الحدود العراقية الايرانية، والذي كتب كتابا قيما عن احوال العراق في منتصف القرن التاسع عشر بترمان الالماني الذي عاش فترة في العراق واسترعى الصابئة بعض انتباهه . على ان لايارد يعتبر الشخص الذي فتح قلوب الصابئة للانكليز، فاخذ يحثهم على تقديم شكوى الى ملكة بريطانيا يرسمون فيها صورة مخزنة للاضطهادات التي يعانونها من الحكم العثماني، وبعضا من المتزمتين في ذلك الوقت. وفعلا فقد ارسلت هذه الشكوى الى السفارة البريطانية في الاستانة، وكان سفيرها حين ذاك ستراڤورد كانتك، الذي كان يستخدم كل اساليب الضغط المشروعة والملتوية لارغام السلطات العثمانية على تنفيذ مطالبه . ولما وصلت شكوى الصابئة الى فكتوريا ملكة بريطانيا بعثت الى كانتك تستحثه لحماية هذه الطائفة، وفعلا فقد ضغط كانتك على الباب العالي، حتى استصدر منه فرمانا بحمايتهم ورعاية مصالحهم .

وكانت تلك الوساطة وذلك الفرمان سببا في ارتفاع قيمة الانكليز في اعين الصابئة .

كان الشيخ يحيى الذي ابدى ميلا نحو الانكليز انذاك، صاحب دهاء، وكان صعب المراس استطاع ان يكون مقربا من عامة الصابئة وذلك بتخفيض رسوم الزواج الى النصف تقريبا حيث كانت تلك الرسوم تشكل عبءاً ثقيلا على ابناء الطائفة، بعد ان شعر ان منافسيه يحرضون السلطات العثمانية ضده . ورغم هذا فقد نجح منافسوه في اقناع السلطات العثمانية بنفيه الى مدينة سوق الشيوخ في جنوب العراق، في اوائل سنة ١٨٦٧ . ومع ان والي بغداد عفا عنه الا ان مركزه ظل ضعيفا . استمرت مجهودات الانكليز في مناطق الصابئة حتى وقعت الحرب العالمية الاولى واستولت القوات البريطانية سنة ١٩١٧ على العراق، وخلال سني الحرب، وما بعدها استمرت هجراتهم من موطنهم الاصلي الى مواطن اخرى داخل العراق، وكانت هجراتهم هذه من العوامل التي ادت الى مزيد من التدهور بسبب قوة التاثير الحضاري، خصوصا وان كثيرا منهم قد دخلوا المدارس والجامعات التي دفعت بقلة منهم الى التخلي عن عاداتهم وتقاليدهم . وفي الفترة الاخيرة ادرك الصابئة حقيقة التطور الذي يسير فيه العراق والذي تشترك فيه جميع القوى والطوائف وتتفاعل تفاعلا كاملا في سبيل تثبيت بناء الدولة، والسير بالبلاد في طريق الرفعة والرخاء .

اعداد المحامي شريف جودة الناشي

/عن مقالة نشرت في مجلة الهلال المصرية عام ١٩٦٥

4. هوامش كتاب كنزا ربا للشيخ مرّان الصابوري وشهادته على أحداث عصره.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الترميذا سنان الجابر — الاحتلال العثماني واضطهاد المنداديين ـقضيّة أعتقال رئيس الصابئة الشيخ صحنْ وأبناءه
هوامش كتاب كنزا ربا منسوخ في 1297/ 1880م يوثّق بها الشيخ مرّان الصابوري أحداث عصره.

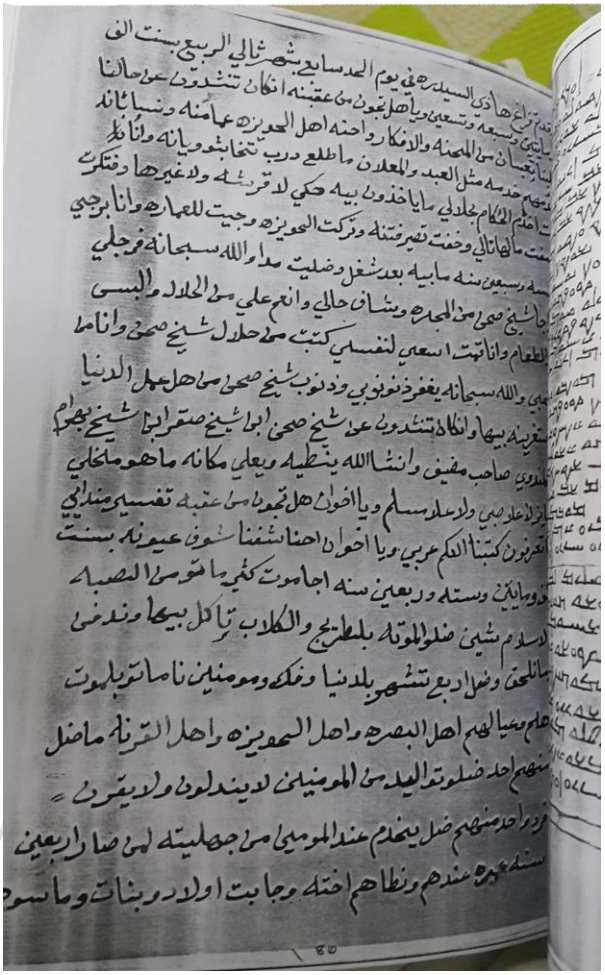

الترميذا سنان الجابر — الاحتلال العثماني واضطهاد المنداديين ـقضيّة أعتقال رئيس الصابئة الشيخ صحنْ وأبناءه
هوامش كتاب كنزا ربا منسوخ في 1297/ 1880م يوثّق بها الشيخ مرّان الصابوري أحداث عصره.

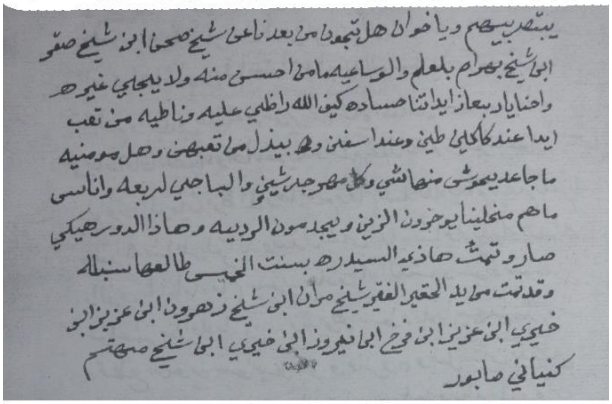

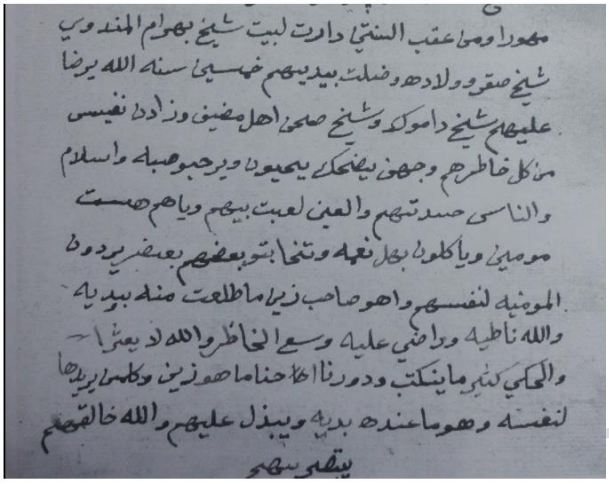

الترميذا
سنان الجادر

الاحتلال العثماني واضطهاد المندائيين -قضيّة أعتقال رئيس الصابئة الشيخ صَحَنْ وأبناءه
وثائق رئيس الصابئة الشيخ داخل حول مقتل والده الشيخ عيدان سنة 1891

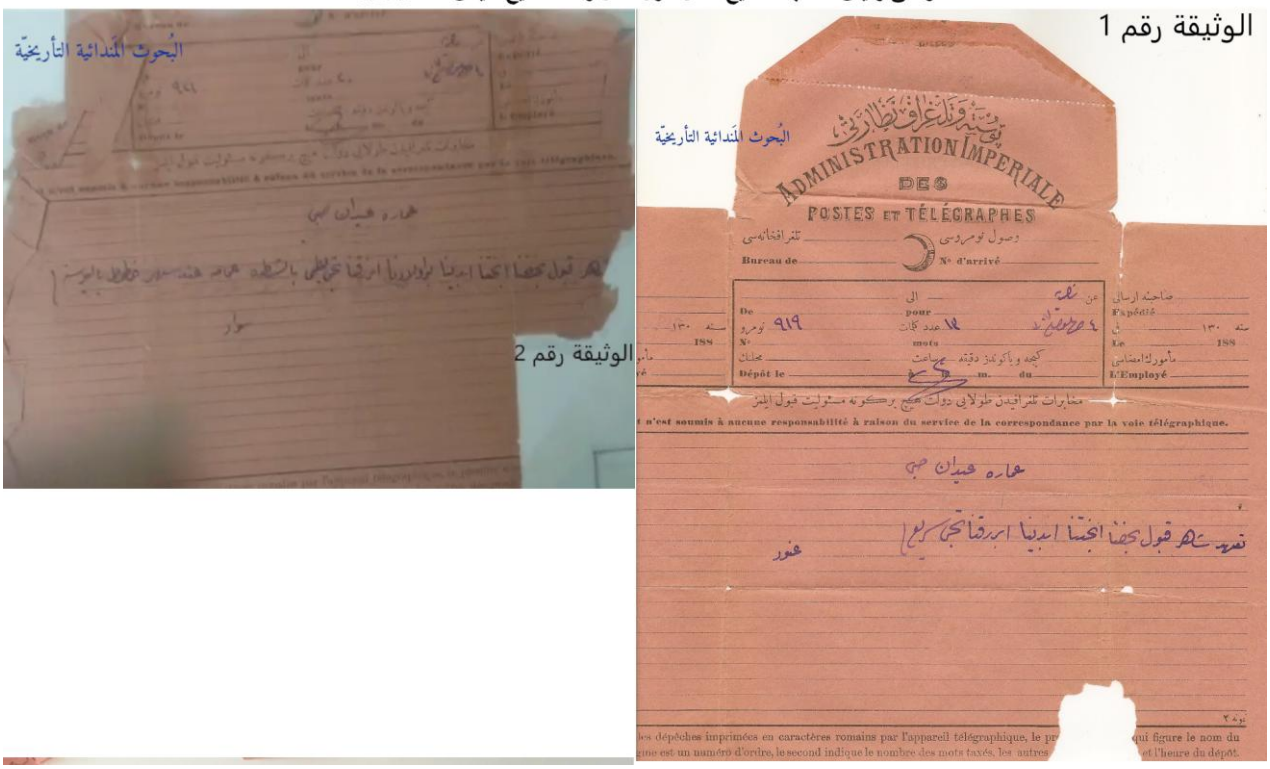

5. وثائق رئيس الصابئة الأسبق الشيخ داخل حول مقتل والده الشيخ عيدان سنة 1891

الوثيقة رقم 3

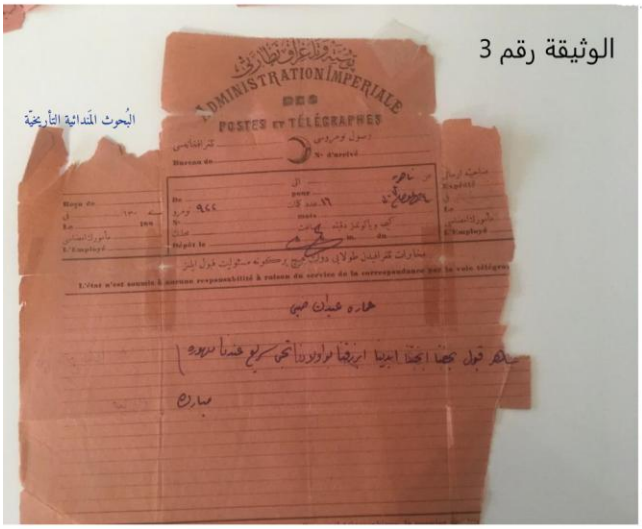

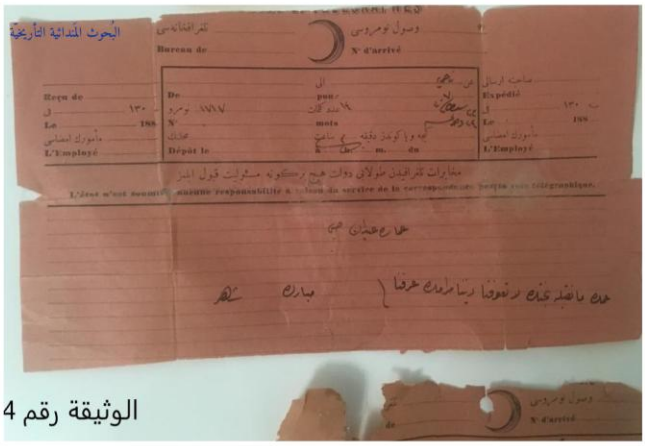

الوثيقة رقم 4

الوثيقة رقم 6

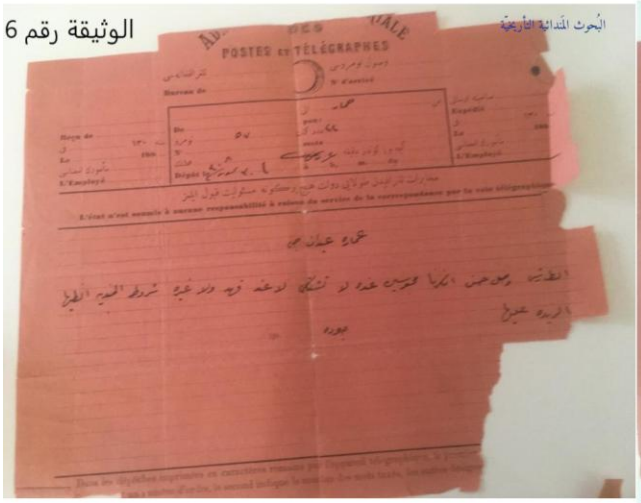

الوثيقة رقم 5

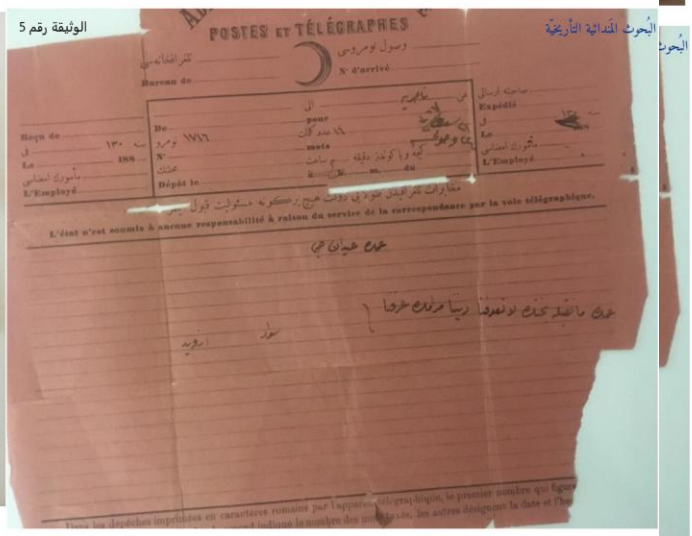

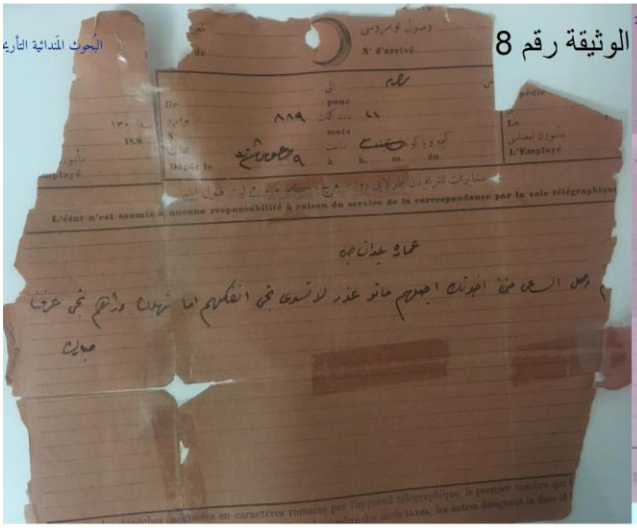

الوثيقة رقم 8

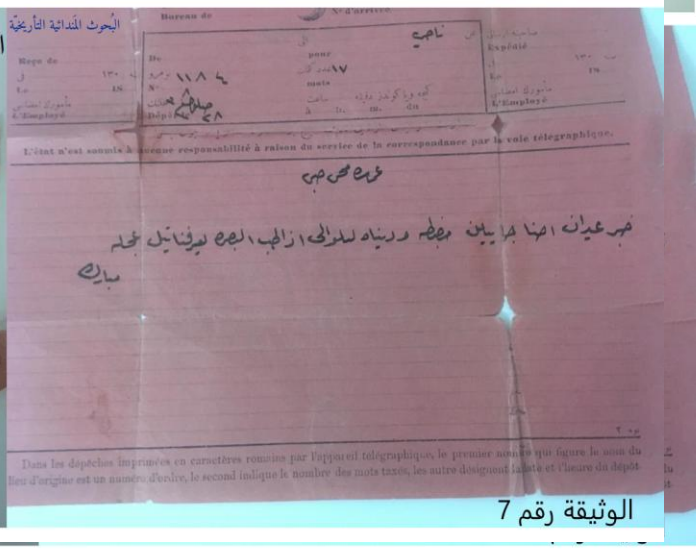

الوثيقة رقم 7